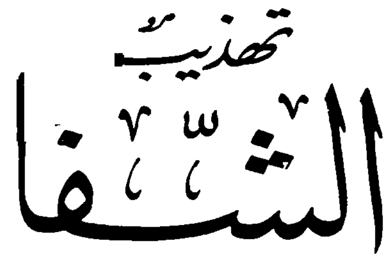


بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي

قام بتهذيبه وترتيبه

نور الدين قره علي   كمال الدين سيروان

الجزء الأول

١

"هدية شركة النهضة الطبية"

لأصحابها

عبدالله يحيى الجفري وولديه عبدالعزيز ويحيى

الاهـــــــداء

الى روح العلامة الشيخ عبد الكريم الرفاعي
صاحب المدرسة التربوية الكبرى
مسجد زيد بن ثابت الأنصاري ـ دمشق ـ
رمزاً للوفاء بالوعد
وتجديداً لما قطعناه على أنفسنا من عهد
أن نبقى على الدرب الذي رسمته
وأن نرعى غرسة الحب التي زرعتها
وأن نصون الفـكرة التي من أجلهـا صـابرت وقضيت ؟

ولداك
جمال الدين ـ نور الدين



مقدمة

من اللحظة الأولى التي وُلِدَ فيها المصطفى عليه الصلاة والسلا
تحركت الأحداث في الكون ، وتجمعت مواكب الهدى ، وبدأت معالم الوجو
تتضح وبرزت القضايا على جبين الحياة ، وافترَّ فم الكون عن بسمة الأمل
الجديد .

منذ تلك اللحظات افتتح التاريخ أولى صفحاته المجيدة ، ليسجِّل الزمن
سيرةَ هذا النبيِّ لحظة تلو لحظة ، وليرسم ـ بكل دقّة ـ أحداثَ حياته لحا
اثر لمحة ، مترسماً خطوات الهداية ، أثراً عقب أثر ، ومتحدثاً عن صفا
النبوة وشمائلها حالا بعد حال .

وبدأ الحديث ... من ولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم بل ومنْ قبل
ذلك ..

ولكن العجيب أنه لم يتوقف ، ولن يتوقف ، طالما يتحرك صدر الحياة
ويخفق قلب الوجود ، فمعين الرسالة لا ينضُبُ ، وهكذا كان حال
الرسول ...

... وقد آلت الأقلام أن لا تقف لأنه لا يعتريها جفاف فهي تشرب من
رحيق القلوب ، وتجمعت آلاف الكتب تضم بين حناياها الأعاجيب من فنون
التأليف في الحب ، وفتح الكون صدره ليكونَ الخزانة المباركة التي تجمع
سيرة أعظم مخلوق ، ونسمع الكون مع ذلك يقول : هل من مزيد ؟...

... ومن هذه الخزانة الكبرى ، ومن اليد الكريمة الطاهرة يد شيخن
الراحل عبد الكريم الرفاعي ، شيخ المدرسة التربوية الكبرى ، مدرس
مسجد زيد بن ثابت الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ تناولنا هذا الكتاب

(كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي تناولناه كأمانة مقدسة طالبنا شيخنا ـ رحمه الله ـ أن نعيش في رياضه لننعش قلوبنا ونرتشف من معينه لنروي جدبنا ، وأن نكون لما فيه من خير خُدّاماً بكل ما نملك من جهد ، وأن نغوص في بحار علومه نغني عقولنا من فقر ، ولقد اعتبرنا هذا الأمر وسام خير يعلقه شيخنا على صدور أصغر طلابه ، واستشعرنا من ذلك بشارة رضا يتعطف بها مربٍّ صادقٌ على تلامذة مقصرين .

فوثبنا للعمل ، بعد هذه الشحنة الطيبة ، مثابرين مع اخوة لنا هم : الشيخ (أسامة عبد الكريم الرفاعي) والشيخ (محمد أمين قره علي) والشيخ (عبد الفتاح السيد) ـ خمس سنوات على التحقيق والتدقيق والاشراف على الطباعة ، لاخراج هذا الكتاب مشروحاً شرحاً وافيا ومطبوعاً طبعة أنيقة مرتبة ، أخرجناه أولا مجزّءاً ، وأتبعنا ذلك جمعه في مجلدين..

■ ■ ■

ومضت الأيام ، ولنا مع هذا الكتاب لقاء لا ينقطع ، في مجالس الدروس المسجدية فصلا فصلا ، نرى فيه ـ كل يوم ـ الشيءَ الجديدَ ، وتُظهِرُ مدارستُه أمورا قد لا يلحظُها الانسان في أوقات التحقيق ، وتمر علينا بعض الأخطاء المطبعية التي غابت عنا في غمرة العمل والاخراج ، وكل ذلك يُجمَعُ ويُسجَّلُ ، ويُصنَّفُ ويُرتَّب ، في انتظار الفرصة المواتية لطباعة الكتاب من جديد .

وهكذا حتى شاءت ارادة الله .. وكانت الهجرة إلى الديار المقدسة ، وكان هذا الكتاب الأنيس المؤنس ، والمؤدِّب الناصح .

■ ■ ■

ورأينا أن نبدأ معه العمل .. وشرح اللهُ الصدورَ .. وبعد تداول الرأي وتقليب وجهات النظر ارتأينا ونحن نعيش المجتمع المتسارع أن ننتقل بالكتاب من كونه مرجعة لأهل الاختصاص لا يطَّلِعُ عليه إلاَّ القلَّة من طلاب

العلم الى كتاب مهذب بحجم مصغر يكون بمتناول الجميع .. وينشُق عبيره أغلبُ الأحباب . وأسميناه (تهذيب الشفا) .

فَعَمَدنا الى ما يلي :

١ ـ تناولنا كل فصل بدراسة جديدة واستَخلَصنا بعدها المتَّفقَ عليه من الأقوال عند أهل العلم والمؤيَّدَ بالأحاديث الصحيحة ذاكرين ذلك بترتيب جديد .

٢ ـ عَمَدنا الى حذف بعض الفصول وتهذيبها مما لا يَعني إلا أهل الاختصاص ويصعُبُ على القارئ العادي .

٣ ـ أبقينا على معظم التحقيقات الواردة في الطبعة المحقَّقَةِ الصادرةِ بمجلَّدين عام ١٣٩٢ هـ .

٤ ـ حذفنا ترجمة الأعلام حرصاً على الاختصار المقصود بهذه الطبعة .

٥ ـ رأينا أن نصدره مجزَّءاً بحيث تتناسبُ قراءتهُ مع ظروف الحياة التي يعيشها إنسان هذا العصر ، ولكي تُقرأ موضوعاته القيِّمَةُ في أغلب المواطن الاجتماعية .

سائلين الله تعالى أن يُلهِمنا الخيرَ ويجنِّبَنَا الزلل في ميادين القول والعمل ؟

المحققـــــان

جمال الدين سَروان　　　نور الدين قره علي

ترجمة المؤلف

في نهاية القرن الخامس الهجري وفي سنة ست وسبعين وأربعمئة على وجه التحديد وُلد مؤلف الشفاء القاضي الكبير والمحدّث الجليل والأديب الفقيه عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي الغرناطي المالكي ...

لقد كان هذا القرن عصر ازدهار العلوم والفنون في بلاد الأندلس التي بدأت تنافس المشرق بالفخر العلمي وبالمجهود الادبي الذى كان بلاط الخلفاء يزدهر بغرسه ونتاجه ..

أصله ...

لقد جاء أجداد عياض من الأندلس الى بلدة فاس في بلاد المغرب يحملون معهم صفات تلك البيئة العلمية في نفوسهم وأرواحهم ... وولد قاضينا الكبير في بلدة سبتة في شهر شعبان بعد ان انتقل اليها والده من مدينة فاس ...

وسبتة بموقعها الجغرافي كانت همزة وصل بين الشمال الافريقي وبين الأندلس الزاهرة أو بالأحرى بين المشرق والمغرب على اعتبار أن كلمة المغرب كانت تطلق على البلاد الأندلسية .

ويرجع أصل المؤلف من ناحية أجداده الى يحصب بن مالك أبو قبيلة باليمن ... فالمؤلف بهذا عربي اصيل .

فاجتمعت للمؤلف كل الصفات العلمية المؤهلة من ناحية الوراثة والبيئة ثم أضاف اليها تلك الدراسة العميقة التي أخذ بها نفسه منذ نعومة أظفاره ...

ولقد كان له كثير من الشيوخ الذين أخذ عنهم الفقه والأصول والحديث والأدب وظهرت جوانب من تلك العلوم في المصنفات العديدة التي ألفها ويستطيع القارئ أن يلمح تلك الأسماء العديدة في سند أكثر الأحاديث النبويّة الشريفة التي يرويها بطريقة عنهم .. وخاصة في كتاب الشفاء ..

علمه ...

واتجه القاضي منذ نعومة أظفاره الى تعلم العلوم الشرعية فاتقنها اتقاناً عجيباً وفي سن مبكرة كما ذكر صاحب كتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ... ولم تمنعه دراسته للعلوم الشرعية من الأخذ من علوم الأدب واللغة وظهر ذلك جلياً في كتاباته الجميلة الآسرة .

واصبح المؤلف بعد فترة وجيزة قاضياً لسبتة في بلاد المغرب على المذهب المالكي الذي عم افريقيا وانتشر فيها .

وبدأ يتجه الى التأليف واخراج التصانيف المفيدة في التفسير والحديث والسيرة النبوية الشريفة .

وبدا فشرح صحيح مسلم شرحاً جيداً ساعده عليه علمه بالحديث وروايته له . وأخرج تفسيراً للقرآن .

ولم يطل المقام به في سبتة حتى نقل الى غرناطة سنة احدى وثلاثين وخمس مئة . ولم يطل مقامه بها حتى نقل ثانية الى سبتة ليتولى فيها القضاء ..

وقد ذكر ابن فرحون من علماء المالكية في طبقاته عن القاضي عياض أنه كان اماماً في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيباً بليغاً وذكر من تاليفه نحو ثلاثين تاليفاً جليلا .

كتاب الشفاء :

وان أعظم ما خطه يراع القاضي هو كتاب الشفا الذي تداولته أيادي العلماء من كل أمة درساً وفهماً فلم يخل منه بيت عالم فاضل أو زاهد كريم أو محب على محبته مقيم ...

وقد اختتمت حياة المؤلف الحافلة يوم الجمعة بمراكش في جمادى الآخرة سنة اربع وأربعين وخمسمائة .. وما قيل في أنه قتل لا أصل له .

مقدمة المؤلف

تمجيد وتوحيد

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى(١) المختص بالملك الأعز(٢) الأحمى(٣) الذي ليس دونه(٤) منتهى ولا وراءه مرمى(٥)، الظاهر(٦) لا تخيلا ولا وهما(٧)، الباطن(٨) تقدسا لا عدماً(٩) ، وسع(١٠) كل شيء رحمة وعلماً ، وأسبغ(١١) على أوليائه نعما عما(١٢) ، وبعث فيهم رسولا من أنفسهم(١٣) أنفسهم(١٤) عربا وعجماً ، وأزكاهم(١٥) محتدا(١٦) ومنمى(١٧) ، وأرجحهم عقلا

نعمة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) الاسمى : افعل التفضيل من السمو وهو الارتفاع أي الممتاز عن المشاركه في اسمه الأعلى .

(٢) الاعز : من العزة والعزيز الذي لا يحوم حوله ذل ولا مغلوبيه .

(٣) الاحمى : افعل التفضيل من حميته حماية ، والمحمى المصون .

(٤) دونه : لها معان منها عند ، وأمام . ووراء وهي هنا بمعنى فوق وأمام .

(٥) مرمى : منقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم : (ليس وراء الله مرمى ولا منتهى) . وأصل المرمى بفتح الميمين موضع الرمي شبه بالغرض والهدف الذي ينتهي اليه سهم الرامي . وفي كتاب النهاية : (أي ليس بعد الله لطالب مطلب . فإليه انتهت العقول ، ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به غاية تقصد) .

(٦) الظاهر : من أسمائه تعالى وهو بمعنى الواضح الجلي . وهو هنا الظاهر للفطرة والبصيرة في اياته . وتدبير حكمته .. ولا يذكر الا مقرونا باسمه تعالى : (الباطن) .

(٧) يعني أن ظهوره تعالى متحقق مكشوف للعقول لقيام الأدلة القاطعه الدالة على وجوده ووحدانيته لا بحسب التخيل والوهم .

(٨) الباطن : باعتبار ذاته لا صفاته .

(٩) تقدسا : تفعلا من القدس وهو الطهارة والتنزه : (عدما) اي فقدا اذ لا يقتضي عدم ظهوره نفي وجوده ونوره .

(١٠) وسع : أحاط .

(١١) أسبغ : اتم واكمل . وهو في الأصل صفة للدرع وللثوب الطويل .

(١٢) عما : جمع عميمه وهي التامة الشامله .

(١٣) أنفسهم : بضم الفاء أي من جنسهم العربي أو البشري لا من الملائكه .

(١٤) أنفسهم : أشرفهم وأعظمهم . من النفيس .

(١٥) أزكاهم : أطهرهم وأنماهم حسا ومعنى .

(١٦) محتدا : بفتح الميم وكسر التاء أي أصلا وطبعا .

(١٧) منمى : اسم زمان أو مكان أو مصدر ميمي من النمو .

وحلماً(١) ، وأوفرهم علماً وفهمـاً وأقـواهم يقينـاً(٢) وعزماً ، وأشدهم بهم رأفة ورحماً وزكّاه روحاً وجسماً ، وحاشاه(٣) عيباً ووَصماً(٤) وآتاه حكمة(٥) وحُكماً(٦) وفتح به أعيناً عمياً(٧) ، وقلوباً غُلفاً(٨) وآذاناً صمّاً ، فآمن به وعزّره(٨) ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسماً ، وكذّب به وصدف(١٠) عن آياته من كتب الله عليه الشّقاء حتماً «وَمَن كان في هذه أعمى فهُوَ في الآخِرةِ أعمى(١١)» صلّى الله عليه صلاة تَنمُو وتنمى وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً .

أما بعد : أشرق الله قلبي وقلبَكَ بأنوار اليقين ولطَف لي(١٢) ولك بما لطَف بأوليائه المتّقين ، الّذين شرفهم الله بنُزُل(١٣) قُدسه، وأوحشهم من الخليقة بأُنسه ،وخصّهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته(١٤) وآثار قدرته بما

(١) حلماً : بكسر الحاء هو ضبط النفس عن هيجان الغضب .
(٢) اليقين : هو العلم الذي زال منه الريب تحقيقاً .
(٣) حاشاه : فعل ماضي بمعنى نزهه الله وبرأه .
(٤) عيباً ووصماً : العيب والوصم شيء واحد الا أن الوصم أخص من العيب .
(٥) الحكمة : المنع والحكيم من منع نفسه من شهواتها .
(٦) حكماً : القضاء في الأحكام .
(٨) عمياً : حساً ومعنى .
(٨) غلفاً : جمع أغلف وهو ما وضع في غلاف .
(٩) عزّره : عظمه ووقره .
(١٠) صدف : أعرض .
(١١) الاسراء : آية ٧٢ .
(١٢) لطف لي : المشهور تعديه لطف بالباء كقوله تعالى : الله لطيف بعباده . وجاء تعديه باللام في قوله : (ان ربي لطيف لما يشاء) .. وفي نسخة صحيحة (بما لطف لاوليائه) فما موصوله .. وفي نسخة (بعباده) .
(١٣) نزل : ما يهيأ للضيف من مكان .
(١٤) الملكوت : باطن الملك . أو العالم العلوي (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات ..)

ملأ قلوبهم حَبْرَة(١) ، وَوَلّهَ(٢) عقولهم في عظمته حيرة ، فجعلوا همَّهم به واحداً ، ولم يروا في الدارين غيره مُشاهَداً .

فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمّون . وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون . وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لَهِجين(٣) بصادق قوله « قُل اللهَ ثُمَّ ذَرهُم في خوضِهِم يلعبون(٤) » فانّك كرّرت علي السؤال في مجموع(٥) يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وما يجب له من توقير واكرام ، وما حكم من لم يوفِ واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه الجليل قُلامةَ(٦) ظُفر ، وأن أجمعَ لك ما لأسلافنا وَأئمتنا في ذلك من مقال ، وأُبيّنهُ بتنزيلِ(٧) صُوَر وأمثال .

سبب التأليف والدافع اليه

فاعلم أكرمكَ اللهَ أنّك حمّلتني من ذلك أمراً إمراً(٨)، وَأرهقتني(٩) فيما ندبتني(١٠) اليه عسراً، وأرقيتني(١١) بما كلّفتني مرتقى صعبا ملأ قلبيرُعباً.

الشعور بثقل التبعة

(١) حبرة : من الحبور وهو السرور (فهم في روضه يحبرون) .
(٢) ولّه عقولهم : ولّه بالتشديد والمعنى : جعل عقولهم والهه بالتدبر والتفكر .
(٣) لهجين : مواظبين ومداومين على ذكر الله .
(٤) الأنعام : آية ٩١ .
(٥) مجموع : أي في مصنف مجموع .
(٦) قلامة : وهو ما يسقط من الظفر .
(٧) بتنزيل صور : أي بتصوير صور .
(٨) إمراً : شديداً وعظيماً .
(٩) أرهقتني : الارهاق والرهق تكليف ما لا يطاق(ولا ترهقني من أمري عسراً)
(١٠) ندبتني : طلبته مني .
(١١) أرقيتني : ألجأتني الى صعوده .

فانَّ الـــكلام في ذلك يســـــتدعي تقرير أصـــول ، وتحرير (١) فُصول ، والكشفَ عن غوامضَ ودقائق من علم الحقــائق(٢) ممّا يجبُ للنبي صلى الله عليــه وسلّم ويُضـافُ اليه أو يَمتنعُ أو يجُوزُ عليه ، ومعرفة معنى النبيِّ والرسُول والرسالة ، والنبوة والمحبّة والخُلّة(٣)، وخصائص هذه الدرجة العليّة .

الشعوربالواجب يبـدد الخـوف من المسئوليـــة

وههنا مهامــه(٤) فيــح (٥) تحـارُ فيها القطا(٦) ، وتقصُر بها الخُطا ، ومجاهلُ تضِـل فيها الأحلام انلمتهتد بـعَـلـم (٧) عـلم ونظــر ســديد ومــداحض(٨) تزلُّ بها الأقــدام ان لم تعتمد على توفيــق من الله وتاييد ، لــكني لِمَا رَجوتُه لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال(٩) وثواب بتعريف قدره الجسيم ، وخُلُقه العظيم ، وبيــان خصائصه التي لم تجتمع قبلُ في مخلوق ، وما يُدانُ(١٠) الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع الحقوق « لِيَستَيقِنَ الّذينَ أُوتُوا الـــكتاب ويـزدادَ الّذين آمَنُــوا إيمانا(١١) » .

ولمَا أخذ الله تعالى على الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للنّاس ولا تَكتُمُونَهُ .

---

(١) تحرير : تهذيب .
(٢) الحقائق : هي الامور الثابتة من الادله النقليه والعقلية .
(٣) الخلة : بالضم ضرب من المحبة .
(٤) مهامه : جمع مهمه كجعفر وهو القفر والمفازة البعيدة سُميت بذلك لانها مخوفة يقول فيها الانسان لصاحبه مه مه اي اسكت .
(٥) فيح : الواسعة .
(٦) القطا : طائر يوصف بالسرعة في الطيران والاهتداء في الظلمات والتبكير .
(٧) عـلـم عـلم : بفتح العين واللام في الاول وبكسر فسكون في الثاني أي بعلامة يُعلم بها .
(٨) مداحض : مزالق .
(٩) نوال : عطاء :
(١٠) يدان : يطاع .
(١١) المدثر : آية (٣١) .

ولما حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه‌الله بقراءتي عليه ، قال حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا أبو عمرو النَّمري ، حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ، حدثنا أبو بكر محمد بن بكر ، حدثنا سليمان بن الأشعث، حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا حماد أخبرنا علي بن الحكم عن عطاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يومَ القيامة(١) .

فبادرت الى نكت(٢) سافرة(٣) عن وجه الغرض ، مؤدّياً من ذلك الحق المُفترَضَ ، اختلستُها على استعجال لما المرء بصدده(٤) من شغل البدن والبال ، بما قلّدَهُ من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وتردُّ بعد حسن التقويم الى أسفل سُفْل ، ولو أراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمّه كلّه فيما يحمدُ غداً أو يذم محله ، فليس ثم سوى نضرة(٥) النعيم ، أو عذاب الجحيم ، ولكان عليه بخويصته(٦) واستنقاذ مهجته(٧) ، وعمل صالح يستزيده ، وعلم نافع يفيده أو يستفيدُه .

جبر(٨) الله تعالى صَدْعَ(٩) قلوبنا ، وغفرَ عظيم

---

(١) أسنده المصنف رحمه الله من طريق أبي داود واخرجه الترمذي وحسنه . وابن حبان والحاكم وابن ماجه بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين .
(٢) نكت : نكت في الأرض طعنها وهي هنا ما خفي من الأمر حتى يفتقر الى تفكر .
(٣) سافرة : كاشفه .
(٤) بصدده : بسبيله .
(٥) نضرة : الحسن .
(٦) خويصته : تصغير خاصته . وهو الأمر الذي يختص به .
(٧) مهجته : روحه .
(٨) جبر : أصلح .
(٩) صدع : كسر .

ذُنوبنا ، وجَعَل جميع استعدادنا لمعادنا(١) ، وتوفّر دواعينا فيما يُنجينا ويُقَربنا اليه زُلفى(٢) ويُحظِينا(٣) بِمَنّه (٤) ورَحمَته .

ولمّا نَويتُ تقريبَهُ ودَرَّجت(٥) تبويبهُ ، ومهّدتُ تأصيلَهُ وخلّصتُ(٦) تفصيلَهُ وانتحيتُ(٧) حصرَهُ وتَحصيلَهُ ترجمتُهُ(٨) بالشّفا(٩) بتعريفِ حُقوق المُصطَفى .

---

(١) معادنا : مرجعنا .
(٢) زلفى : مصدر أوحال من تزلف تقرب (وأزلفت الجنة للمتقين) .
(٣) يحظينا : يرفع قدرنا ويخصنا بالمنزلة العلية .
(٤) بمنه : بسبب امتنانه .
(٥) درّجت : رتبت ومنه الدرج أي درجة درجة .
(٦) خلصت : بينت وعينت .
(٧) انتحيت : قصدت .
(٧) ترجمته : سميته .
(٩) الشفا : هي الشفاء فقد أجازوا للناثر لمراعاة فاصلة السجع ما يجوز للشاعر كقوله : (لا بد من صنعا وان طال السفر) .

القسم الأول

في

تعظيم العليّ الأعلى لقدر

النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم

قــولا وفعــلا

مقدمة القسم الأول

قال الفقيهُ القاضي الامامُ أبو الفضلِ رحمهُ الله :
؛خفاء على من مارس شيئاً من العلم ، أو خص بأدنى
حة(١) من الفَهم بتعظيم الله قدرَ نَبيِّنا صلى الله عليه
سلَّم ، وخصوصِه اياه بفضائلَ ومحاسنَ ومناقبَ
؛ تنضبط(٢) لزمام ، وتنويهه(٣) من عظيم قدره بما
ـكِلُّ عنهُ الألسنَةُ والأقلامُ ؛ فمنها ما صرح به تعالى في
تابه ، ونبه به على جليل نصابه(٤) . وأثنى به عليه من
خلاقه وآدابه ، وحضَّ العباد على التزامه(٥) وتَقَلُّدِ
يجابه(٦) . فكان جل جلالُه هو الذي تَفضَّل وأولى ، ثم
ـدح بذلك وأثنى ، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى ، فله
لفضل بدءاً وعوداً ، والحمدُ أُولى وأُخرى .

ومنها ما أبرزه للعيان من خَلقِهِ على أتم وجوه الكمال
؛الجلال ، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة ، والأخلاق الحميدة،
؛المذاهب الكريمة ، والفضائل العديدة ، وتأييده

(١) اللمحه : النظرة الخفية وفي نسخة (لعظه) والمقصود هنا أقل قدر من الفهم .
(٢) الزمام : هو ما يزم به والمقصود أنها لا تحصر في كتاب .
(٣) تنويهه : نوه به تنويها رفع ذكره وعظمه ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
نا أول من نوه بالعرب : أي رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء .
(٤) نصابه : منصبه .

(٥-٦) ويعني المصنف بهاتين العبارتين أن ما أمرنا به على قسمين : مستحب واشار
ليه بقوله (حض العباد على التزامه) وواجب : وأشار اليه بقوله (وتقلد ايجابه)
؛التقلد : وضع قلادة في الجيد أستعير للالتزام على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية
؛يجوز جعله مجازاً مرسلاً بمعنى أن نقيد أنفسنا بالتزام ما أوجبه علينا كما تقيد القلادة
لعنق .

بالمعجزات الباهرة ، والبراهين الواضحة ، والكراما
البيّنة التي شاهدها من عاصرَهُ ، ورآها من أدركَهُ
وعلمَها علمَ يقينٍ من جاء بعدَهُ حتّى انتهى علمُ حقية
ذلك الينا ، وفاضت أنوارُه علينا صلّى الله عليه وسلّم

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسا
أُتِي بالبُراق(١) ليلةَ أسريَ به مُلجَماً(٢) مُسْرَجاً(٣
فاستصعب(٤) عليه فقال له جبريل ، أَبمحمد تفعل هذا ؟!
فما ركبك أحدٌ أكرمُ على الله منه .. قال(٥) فارفضّ(٦
عرقاً(٧) .

---

(١) البراق : سمي بذلك لسرعة سيره كالبراق وهو دابة دون البغل وفوق الحمـا
يضع حافره عند منتهى طرْفه كما في الصحيح .
(٢) ملجماً : اي موضوعاً في فمه اللجام .
(٣) مسرجاً : اي شد عليه السرج .
(٤) اي أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوبه لم يستقر حتى يركبه .
(٥) قال : النبي صلى الله عليه وسلم أو أنس الراوي أو من كلام الراوي عن أنس
(٦) ارفض : سال .
(٧) هذا الحديث أسنده المصنف من طريق الترمذي .

الباب الأول

في

ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدْرِه لديه

اعلم أنَّ في كتاب الله عز وجل آيات كثيرة مفعمة بجميل ذكر المصطفى وعدّ محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في :

عشرة فصول

الفصـــل الأول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعـداد المحـاسن

لقـــد جاءكـم رسول من أنفسكم

كقوله تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ، ن أَنفُسِكُم(١) » الآيـــة ... قـــال سَّمَرقَندِيُّ : وقـــرأ بعضُـــهم « مِن نفَسِكُم(٢) » بفتح الفاء ، وقراءة الجمهور الضم ..

قال القاضي أبو الفضل أعلَمَ اللهُ تعالى لؤمنين ، أو العرب أو أهلَ مكَّةَ ، أو جميع نَّاسِ على اختلاف المُفَسرين ، من المواجَهُ ـذا الخطـاب ، أنه بعث فيهـم رســولا من

الحكمة في كون الرســـول من أنفســـهم

نفســهم يعرفـونه ، ويتحقَّقُون مكانَهُ ، يعلمون صدقه وأمانته ، فلا يتهمونه بالكذب ترك النصيحة لهم لكونه منهم ، وأنه لم تكن

---

(١) التوبة : آية ١٢٨ .

(٢) من أنفَسِكُم : قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقرا بهـا ـرمة وابن محيصن وفي المستدرك للحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قراها ـلك وقراءة الجمهور بالضم .

قبيلة في العرب الا ولها على(١) رسول الله صـ
الله عليه وسلم ولادة(٢) ، أو قرابة(٣) وهو(
عنــد ابن عبَّاس وغيره معنى قوله تعــالى
« إلاّ المَوَدَّةَ في القُربى »(٥) وكــونه مـ
أشرفهــم ، وأرفعهــم ، وأفضلهم على قــرا
الفتح ... وهذه نهاية المدح .

ثم وصفه بَعدُ بأوصاف حميدة ، وأثنـ
عليه بمحامد كثيرة ، من حرصــه على هدايتهـ
ورشــدهم وإســلامهم . وشــدة ما يَعْنِتُهم(
وَيَضُرُّ بهم في دنياهم وأخراهم ، وعزته(
عليه ورأفتِه ورحمتِه بمؤمنهم .

قال بعضهم(٨) : أعطاه اسمين من أسما
رؤوف رحيم . ومثله في الآية الأخرى: «لَقَـ

(١) (على) هنا للمصاحبة مثل قوله تعالى : (وآتى المالَ عَلى حُبِّهِ) اي مع حبه
(٢) ولادة : اي قرابة قريبة . .
(٣) قرابة : اي قرابة بعيدة والمقصود منهما معا ان في كل قبيلة من العرب له صـ الله عليه وسلم اب او جد او ام وقوله : لم تكن في العرب قبيلة ... اخرجه ابو نعيم الدلائل من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : « لـ جاءكم رسولٌ من أنفسِكم » .
(٤) كما رواه عنه البخاري والطبراني .
(٥) الشورى : آية ٢٣ .
(٦) اي من حرصه على هدايتهم ومن كراهته لما يضرُّ بهم .
(٧) اي من غلبة وشدة ومشقة ما يعنتهم على النبي صلى الله عليه وسلم .
(٨) القائل : هو الحسين بن الفضل .

ـنَّ اللهُ عَلَى المُؤمِنينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِم
َسُولا مِن أنفُسِهِم(١) » الآية .

وقـوله تعـالى : « هُوَ الَّذِي بَعَثَ في
لأُمِّيِّينَ رَسولا مِنهُم(٢) » الآية .

وقوله تعـالى : « كَمَا أرسَلنَا فِيكُم
َسُولا مِنكُم(٣) » الآية .

وروي عن علي عنه صلى الله عليه وسلم(٤)
بيـان ما تجمله كلمة انفسـكم
ي قوله تعالى : من أنفسـكم . قال : « نسـباً
صـهراً وحسـباً ليس في آبائي من لدن آدم
ـفاح ، كلها نـكاح » .

عن ابن عَبَّاس رضي اللهَ عنهما في قـوله
مالى : « وَتَقَلُّبكَ في السَّاجِـدِينَ »(٥)
ـال : (مـن نبيٍّ إلى نبيٍّ حـتى أخـرجتك
بيّاً)(٦) .

---

(١) آل عمران : آية ١٦٤ .
(٢) الجمعة : آية ٢ .
(٣) البقرة : آية ١٥١ .
(٤) كما رواه ابن ابي عمر العدني في مسنده .
(٥) الشعراء : آية ٢١٩ .
(٦) كما رواه ابن سعد والبزار وابو نعيم في دلائله بسند صحيح عنه .

وقال جعفر بن محمد : علم الله تعالى عج
خلقه عن طاعته فعرّفهم ذلك لكي يعلموا أنه
لا ينالون الصَّفوَ (١) من خدمته ، فأقام بي
وبينهم مخلوقاً من جنسهم في الصورة ، ألبس
من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه الى الخَل
سفيراً صادقاً ، وجعل طاعتَه طاعتَه
وموافقتَه موافقتَه ، فقال تعالى : « م
يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللهَ »(٢)

صلة المخلوق بالخالق عن طريق الرسل

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين

وقال تعالى : « وَمَا أرسَلنَاكَ إِلا
رَحمَةً لِلعَالَمِينَ »(٣) . قال أبو بكر محم
ابن طاهر : زيَّنَ الله تعالى محمداً صلى ا
عليه وسلم بزينة الرحمة ، فكان كونه رحمة
وجميعُ شمائله وصفاتِه رحمة على الخلق
فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي
الدارين من كل مكروه ، والواصل فيهما ا
كل محبوب .

ألا ترى أن الله تعالى يقول : « وَمَ
أرسَلنَاكَ إِلاَّ رَحمَةً لِلعَالَمِينَ » فكانت

(١) الصفو بمعنى الصافي الخالص والمراد عبادة الله وطاعته مع الخلوص من الحظو
النفسية فلا يشوبها ما يكدرها من التقصيرات .
(٢) النساء : آية ٨٠ .
(٣) الأنبياء : آية ١٠٧ .

ياتُه' رحمةَ ومماتُه رَحمةَ .

كما قال عليه الصلاة والسلام(١): «حياتي ير لكم ، وموتي خير لكم» .

وكما قال(٢) عليه الصلاة والسّلام : «إذا راد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله ا فَرَطاً(٣) وسَلَفاً » .

وقد سمّاه الله' تعالى في القرآن في هذا لوضع نوراً وسراجاً منيراً ، فقال تعالى : قَد جاءَكُم مِنَ اللهِ نُور'' وَكِتَاب'' بين''(٤) » وقال تعالى : «إنّا أرسلنَاكَ اهداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً وَداعِياً إلَى لهِ بإذنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً(٥) » .

ومن هذا قوله تعالى : « أَلَم نَشرَح لكَ صَدرَك » الى آخر السورة « شرح » شرح الصدر

---

(١) وفي نسخة : صلى الله عليه وسلم كما رواه الحارث بن ابي اسامة في مسنده البزار بإسناد صحيح .
(٢) على ما رواه مسلم .
(٣) الفرط : هو الذي يتقدم الواردين ليهيء لهم ما يحتاجون اليه عند نزولهم في نازلهم .
(٤) المائدة : آية ١٥ .
(٥) الاحزاب : آية ٤٥-٤٦ .

وَسَّعَ . والمراد « بالصدر(١) » هنا القلب

قال ابن عباس رضي الله عنهما(٢) شرحه « بنور الاسلام » .

وقال سهل : « بنور الرسالة » .

وقال الحسن : « ملأه حكماً وعلماً » .

وقيل معناه : « ألم يطهِّر قَلبَكَ حت لا يقبلَ الوسواس » .

وضع الوزر

« وَوَضَعنَا عَنكَ وِزرَكَ الَّذِ أنقَضَ ظَهرَكَ(٣) » .

قيل : « ما سلف من ذنبك ـ يعني قب النُبوَّة ـ » .

وقيل : « أراد ثِقَلَ أيام الجاهليَّة » .

وقيل : « أراد ما أثقل ظهره من الرسا حتى بلَّغها » . حكاه الماوردي والسُّلَمِي

وقيل : « عصمناك ، ولولا ذلك لأ ثقَلَ

(١) الانشراح : آية ١ .
(٢) كما رواه ابن ابي حاتم عن عكرمة ، وابن مردويه ، وابن المنذر في تفسيريهما ع
(٣) ...ح : آية ٢ـ٣ .

نوب ظهرك » . حكاه السمرقندي .

« ورفعنا لك ذكرك(1) » قال رفع الذكر
يى بن آدم« بالنبوّة » .

وقيل : « إذا ذُكرتُ ذُكِرتَ معي(2)
قول لا إله إلاّ الله محمّد رسول
» وقيل : في الأذان .

قال القاضي الفقيه أبو الفضل : هذا
ريز من الله جلّ اسمه لنبيه صلى الله عليه
سلم على عظيم نعمه لديه ، وشريف منزلته
نده ، وكرامته عليه ، بأن شرح قلبه للإيمان
الهداية ووسّعه لوعي العلم وحمل الحكمة ،
رفع عنه ثقل أمور الجاهليّة عليه، وبُغْضِه(3)
سيرَها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين
كلّه ، وحطّ عنه عهدة أعباء الرسالة
النبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم ، وتنويهه
عظيم مكانه ، وجليل رتبته ، ورفعه ذكره
قرانه مع اسمه اسمَه ...

---

(1) الانشراح : آية 4 .
(2) وسياتي ان هذا حديث مرفوع .
(3) حق العبارة ان تكون : (وبغّض له سِيَرَها) .

قال قتـــادة(١) : « رفع الله تعـــالى ذكره
الدنيا والآخرة . فليس خطيب ولا متشهد و
صاحب صلاة إلاّ يقول : أشهدُ أن لا إلَ
إلاّ اللهُ وأنّ محمَّداً رسولُ اللهِ » .

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه
النبيّ صلى الله عليه وسلم قال(٢) : « أتا
جبريل عليه السلام فقال : انّ ربي وربّ
يقول : تدري كيف رفعتُ ذكرك ؟.. قلت
اللهُ أعلم . قال : إذا ذُكِرتُ ذُكِر
معي .. » .

وقال ابنُ عطاء : جَعَلتُ تمامَ الإيم
بذكرك معي » . وقال(٣) أيضاً : « جعلت
ذكراً من ذكري ، فَمَن ذَكَرَكَ ذَكَرَني

وقال جعفر بن محمد الصادق : لا يذكر
أحد بالرسالة الا ذَكَرَني بالربوبية . وأش
بعضهم(٤) في ذلك إلى مقام الشفاعة ... و

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم والبيهقي .
(٢) كما في صحيح ابن حبان ومسند ابي يعلى .
(٣) اي عطاء .
(٤) كالماوردي .

ذكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه . فقال تعالى : « وَأطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ (١) » ... و « آمِنُوا باللهِ ورَسُولِهِ (٢) » ... فجمع بينهما بواو العطف المشرّكة ...

واطيعوا الله والرسول

ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه صلى الله عليه وسلم ..

حكم العطف بين الخالق والمخلوق

عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(٣) : «لا يقولَنّ أحدُكم ما شاء الله وشاءَ فلان ، ولكن ، ما شاءَ اللهُ ثم شاءَ فلان .. »

قال الخطابي : أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه ، واختارها بـ « ثمّ » التى هي للنسق(٤) والتّراخي(٥) بخلاف « الواو » التى هي للاشتراك ...

---

(١) آل عمران : آية ١٣٢ .
(٢) النساء : آية ١٣٦ .
(٣) اسنده المصنف هنا من طريق ابي داوود ، ورواه ايضا النسائي في اليوم والليلة ابن ابي شيبة في المصنف .
(٤) النسق : بفتحتين اي للعطف والترتيب .
(٥) اي المهلة في الوجود والرتبة .

اقوال العلماء في مسالة الجمع بين الخالق والمخلوق بضمير واحد

ومثله الحديث الآخر : « أَنَّ خطيباً(١) خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من يُطِعِ اللَّهَ ورسُولَهُ فقَدْ رَشَدَ ، ومَن يَعصِهِما(٢) فقال له النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : بِئس خطيب القوم أنت . قم(٣) . أو قال : « اذهب » قال أبو سليمان(٤) : كره من الجمع بين الاسمين بحرف الكناية(٥) لما فيه من التسوية .

وذهب غيره الى أنه انما كره له الوقوف على « يعصهما » وقول أبي سليمان أصح .. لما روي في الحديث الصحيح أنه قال : « ومَن يَعصِهِما فَقَدْ غَوَى » ولم يذكر الوقوف على يعصهما .

وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني(٦) في قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ(٧) » هل «يُصَلُّونَ

(١) قيل (هو ثابت بن قيس بن شماس) .
(٢) وفي نسخة صحيحة زيادة (فقد غوى) .
(٣) الحديث اخرجه النسائي في اليوم والليلة ، وأبو داوود في الادب ورواه مسلم ايضاً .
(٤) اي الخطابي .
(٥) ويقصد بحرف الكناية هنا الضمير من (يعصهما) حيث كنّى به عن الله ورسوله
(٦) اي علماء البلاغة .
(٧) الأحزاب : آية ٥٦ .

اجمة على اللهَ تعالى والملائكة !! أم لا ؟..

فأجازه بعضهم .

ومنعه آخرون لعلة التشريك ... وخصّوا لضميرَ بالملائكة . وقدّروا الآية « انّ اللهَ نُصَلّي وملائكتَه يُصلّونَ » .

وروي(١) أنه لما نزلت هذه الآية قالوا(٢) : ان محمداً يريد أن نتخذه حناناً(٣) كما اتخذت لنصارى عيسى » ... فأنزل الله تعالى : « قُل َطيعُوا اللهَ والرّسُولَ(٤) » .. فقرن لاعتَهُ بطاعتِهِ رَغماً لهُم .

اختلاف المفسرين في معنى الصراط المستقيم

وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ي أُمّ الكتاب : « اِهدِنَا الصِّرَاطَ لمُستَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِم(٥) » فقال أبو العالية والحسن

(١) رواه ابن المنذر عن مجاهد وقتادة ، ورواه ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله نهما .
(٢) أي الكفار او المنافقون والقائل منهم عبد الله بنُ ابيَ بنُ سلول نزل منزلة لجمع لعظمته عندهم .
(٣) حنانا : ربا ذا رحمة .. او مكانا يتمسح به للبركة .
(٤) آل عمران : آية ٣٢ .
(٥) الفاتحة : آية ٦ ، ٧ .

البصري : «الصِّرَاطَ المُستَقيم» هو رسو
الله صلى الله عليه وسلّم ، وخيار أهل بيتـ
وأصحابه حكاه عنهما(١) أبو الحسن الماوردي

وحكى مكي عنهما نحـوه(٢) ، وقال : « هـ
رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وصاحبـ
أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

وحكى أبو الليث السَّمَرقَنديُّ مثله ع
أبي العالية في قوله تعالى: «صِرَاطَ الَّذِينَ
أنعَمتَ عَلَيهِم(٣) » .

فبلغ ذلك الحسن(٤) فقال : « صدق والله
ونَصَحَ » .

وحكى الماوردي ذلك في تفسير « صِرَاط
الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِم » عن عبد الرحمـ
ابن زيد .

---

(١) ورواه في المستدرك عن ابي العالية وصححه .
(٢) اي بالمعنى لا باللفظ ، واخرجه بلفظ مكي ابن جرير وابن ابي حاتم واخر المستدرك من رواية ابي العالية عن ابن عباس وصححه .
(٣) سورة الفاتحة : آية ٧ .
(٤) اي بلغه ذلك عن عاصم .

وحكى أبو عبد الرحمن السُّلَمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى : « فَقَدِ استَمسَكَ بالعُروَةِ الوُثقَى(١) » أنه محمد صلى الله عليه وسلم . العروة الوثقى

وقيل : « الاسلام » .

وقيل : « شهادة التوحيد » .

وقال سهل في قوله تعالى : « وإن تَعُدُّوا نِعمَةَ اللهِ لاَ تُحصُوهَا(٢) » قال : نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم . نعمة الله

وقال تعالى : « وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ(٣) » الآيتين .

أكثر المفسرين على أن « الَّذِي جَاءَ بالصِّدق » هو محمد صلى الله عليه وسلم . جاء بالصدق

قال بعضهم : وهو الذي « صَدَّقَ به » .

---

(١) البقرة : آية ٢٥٦ .
(٢) سورة ابراهيم : آية ٣٤ .
(٣) سورة الزمر : آية ٣٣ .

الفصل الثاني
في
وصفه تعالى له بالشهادة
وما يتعلق بها من الثناء والكرامة

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً[1] » .. الآية .

جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروباً من رتب الأَثَرَةِ[2] ، وجملة أوصاف من المِدْحة فجعله « شاهداً » على أُمَّتِهِ لنفسه بابلاغهم الرسالة ... وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم .

شاهداً

ومبشراً — « وَمُبَشِّراً » لأهل طاعته ...

ونذيراً — « وَنَذِيراً » لأهل معصيته ...

وداعياً — « وَدَاعِياً » الى توحيده وعبادته ...

سراجاً منيراً — «وسِرَاجاً مُنِيراً» يهتدى به للحق ...

---

(١) سورة الاحزاب : آية ٤٥ .
(٢) الاثرة . بالضم الكرامة وبالكسر ما يستاثر به على غيره والاول هو المراد هنا .

عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت(١) : أخبِرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أجل(٢) والله انّه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : « يَا أيُّهَا النَّبِيُّ إنَّا أرسَلناكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وحرزاً(٣) للأُمِّيِّين أنتَ عَبدي ورَسُولي. سَمَّيتُكَ المُتوكِّل ليس بفظ(٤) ولا غليظ، ولا صخَّاب(٥) في الأسواق ولا يدفع بالسيئة(٦) السيئةَ(٧) ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضَه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلاّ الله ، ويفتح به أعيُناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ...

صفته في التوراة

وذكر مثله(٨) عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار : وفي بعض طرقه(٩) عن ابن اسحق :

---

(١) اخرج البخاري هذا الحديث منفردا عن بقية اصحاب الكتب الستة في موضعين : احدهما في التفسير ، والثاني في البيوع . وهو الذي ساقه ابو الفضل منه .
(٢) اجل : نعم ، وكانه نزل (اخبرني) منزلة اتخبرني ؟.
(٣) حرزا : حفظا او حافظا .
(٤) الفظ : سيء الخلق قليل التؤدة .
(٥) الصخاب : الذي يرفع الصوت .
(٦) الصادرة منه .
(٧) الصادرة من غيره .
(٨) وروي مثله لابن عمر ولعطاء بن يسار كما في البخاري تعليقا واسنده الدارمي .
(٩) اي طرق الحديث كما اخرجه ابن ابي حاتم في تفسير سورة الفتح عن وهب بنمنبه.

روايات من التوراة في صفته صلى الله عليه وسلم

ولا صخب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا(١) ، أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره(٢) والتقوى ضميره(٣) والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته والحق شريعته ، والهدى إمامه (٤) والاسلا ملته، وأحمد اسمه . أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة(٥) وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة أؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأمم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس .

وفي حديث آخر(٦) : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة

(١) الخنا : القول القبيح .
(٢) شعاره : دابه وعادته .
(٣) ضميره : في صدره .
(٤) إمامه : اي قدوته وفي نسخة معتمدة بالفتح اي قدامه .
(٥) اي اجعل الناس المجهولين معروفين بسببه او بما اوحيه اليه . او اعرفهم ما جهلوه من التوحيد .
(٦) رواه الدارمي عن كعب موقوفا . والطبراني وابو نعيم في دلائله عن ابن مسعود

«عبدي أحمد المختار، مولده بمكة، ومهاجَرهُ بالمدينة ـ أو قال طيبة ـ أُمَّتُه الحمّادون لله على كلِّ حال» .

وقال تعالى : « اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ(١) » . الآيتين .

وقد قال تعالى : « فَبِمَا رَحمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُم(٢) » الآية .

قال السَّمَرقَندِيُّ : ذكَّرهُمُ الله تعالى منَّتَه أنه جعل رسوله صلى الله عليه وسلم رحيماً بالمؤمنين ، رؤوفاً ليِّنَ الجانب ؛ ولو كان فَظاً خشناً في القول لتفرقوا من حوله . ولكن جعله الله تعالى سمحاً سهلا طلقاً براً لطيفاً . رحمته بالمؤمنين

هكذا قاله الضَّحَّاك .

وقال تعالى : « وَكَذَلِكَ جَعلنَاكُم أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيداً(٣) » .

---

(١) الأعراف : آية ١٥٧ .
(٢) آل عمران : آية ١٥٩ .
(٣) البقرة : آية ١٤٣ .

فضل امته من فضله

قال أبو الحسن القابسي : أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية .

وفي قوله في الآية الأخرى : « وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُم وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ(١) » .

وكذلك قوله تعالى : «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيد(٢) » الآية .

وقوله تعالى : « وسَطاً » أي عُدولا خيارا ومعنى هذه الآية : وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضّلناكم بأن جعلناكم أمّة خياراً عدولا ، لتشهدوا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم ، ويشهد لكم الرسول بالصّدق .

شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم لامته بالصدق

(١) الحج : آية ٧٨ .
(٢) النساء : آية ٤١ .

قَيل(١) : إنَّ اللهَ جل جلاله اذا سأل الأنبياء هل بَلّغتُم ؟! فيقولون : نعم . فتقول أممهم : « مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِير(٢) » فتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء ، ويزكّيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية : إنكم حُجّة على كل من خالفكم والرسول صلى الله عليه وسلم حجة عليهم ..

حكاه السَّمَرقَندِيُّ .

قدم الصدق للمؤمنين به

وقال تعالى : « وَبَشِّر الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُم قَدَمَ صِدق عِندَ رَبِّهِم(٣) » .

قال قتادةُ والحسنُ وزيدُ بن أسلمَ : « قَدَمَ صِدق » هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفعُ لهم(٤) .

---

(١) قد ثبت بطرق متكاثرة كادت ان تكون متواترة . فكان حقه ان يقول صح ونحوه ولا يعبر « بقيل » المشعر بضعفه ، اذ رواه البخاري وغيره .
(٢) المائدة : آية ١٩ .
(٣) يونس : آية ٢ .
(٤) اخرج ذلك ابن جرير عنهم .

وعــن الحســن أيضــاً(١) هي مُصيبَتُهم بنَبيِّهم .

وعن أبي ســعيد الخدري رضي الله عنه هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم(٢) وهو شفيع صدق عند ربهم .

وقال ســهل بن عبد الله التُستَري : هي سابقة رحمة أودعهــا في محمد صلى الله عليــ وسلم .

وقال محمد بن علي التِّرْمِــذي : هو إما الصــادقين والصدِّيقــين الشــفيع المُطــا والسائل المُجاب محمد صلى الله عليــه وسلم حكاه عنه السُلَمي .

(١) اي في رواية اخرى . اخرجها ابن ابي الدنيا في كتاب العزة .
(٢) اخرجه ابن مردويه في تفسيره .

الفصل الثالث
في
ما ورد من خطابه إيّاه
مورد الملاطفة والمبرّة

عفا الله عنك

فمن ذلك قوله تعالى: «عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم(١)».

قال أبو محمد مكي: قيل: هذا افتتاح كلام بمنزلة: أصلحَكَ الله، وأعزّك الله.

وقال عون بن عبد الله: أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب. وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب. ومن إكرامه إيّاه، وبرّه به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط(٢) القلب.

قال الفقيه القاضي: يجب على المسلم

---

(١) التوبة: آية ٤٣.
(٢) عرق من الوتين يناط القلب به من جانب الصلب.

التأدب بالقرآن

المجاهد نفسه ، الرائض(١) بزمام الشريعة خُلُقَه ، أن يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته ، فهو عنصر(٢) المعارف الحقيقية ، وروضة الآداب الدينية والدنيوية ، وليتأمل هذه الملاحظة العجيبة في السؤال من رب الأرباب المُنعم على الكل ، المستغني عن الجميع ، ويستثير(٣) ما فيها من الفوائد ، وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب ، وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ـ إن كان ثمّ ذنب ـ .

ومثله قوله تعالى : « قَد نَعلَمُ إنَّهُ لَيَحزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإنَّهُم لاَ يُكَذِّبُونَكَ (٤) .... » الآية .

لا يشككون في صدقه ولكن يشككون بما جاء به

قال علي رضي الله عنه (٥) : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنَّا لا نُكَذِّبُكَ ولكن نُكذِّبُ بما جئت به ... فأنزل الله تعالى : « فَإنَّهُم لاَ يُكَذِّبُونَكَ » الآية .

---

(١) الرائض : المذلل .
(٢) عنصر : اساس .
(٣) يستثير : يظهر .
(٤) الانعام : آية ٣٣ بالتشديد للجمهور . وبالتخفيف لنافع والكسائي .
(٥) كما رواه الترمذي وصححه الحاكم .

ففي هذه الآية مَنزَعٌ(١) لطيفُ المأخذ في تسليته تعالى له صلى الله عليه وسلم ، وإلطافه في القول بأن قرر عنده أنه صادق عندهم ، وأنهم غير مكذبين له ، معترفون بصدقه قولا واعتقاداً . وقد كانوا يُسمُّونه قبل النُّبوة « الأمين » .

فدَفَع بهذا التقرير ارتماض(٢) نفسه بِسِمَةِ الكذب ثم جعل الذمّ لهم بتسميتهم « جاحدين » « ظالمين » .

فقال تعالى : « وَلكِنّ الظّالِمِينَ بِآياتِ اللهِ يَجحَدُونَ(٣) » فحاشاهُ(٤)من الوصم . وطَوّقهم(٥) بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم .

تعريف الجحود

اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم أنكَره كقوله تعالى : « وَجَحَدُوا بِهَا واستَيقَنتها أنفُسُهم ظُلماً وَعُلُوّاً(٦) » .

---

(١) بفتح الميم وسكون النون وفتح الزاي : من نزع إلى الشيء ذهب إليه .
(٢) ارتماض : القلق .
(٣) الأنعام : آية ٣٣ .
(٤) حاشاه : نزهه .
(٥) اي الزم اطواقهم في اعناقهم .
(٦) النمل : آية ١٤ .

تعـــــزية

ثم عزَّاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده بالنصر بقوله تعالى : « ولَقَد كُذِّبَت رُسُلٌ مِن قَبلِكَ(١) » الآية . فمن قرأ(٢) « لاَ يُكذِبُونَكَ(٣) » بالتخفيف . فمعناه لا يجدونَكَ كاذباً ..

وقال الفراء والكسائي : لا يقولون إنّكَ كاذب .

وقيل : لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه .

وفي قراءة(٤) بالتشديد . فمعناه لا ينسبونك الى الكذب .

وقيل : لا يعتقدون كذبك .

ومما ذكر في خصائصه وبرّ الله تعالى به . أَنَّ الله تعالى خاطب جميع الأنبياء عليهم

---

(١) الانعام : آية ٣٤ .
(٢) وهو نافع والكسائي .
(٣) ومعنى « يكَذبونَك » اي لا يجدونك تاتي الكذب ، كما تقول : اكذبته وجدته كذ ابا ، وابخلته وجدته بخيلا ، اي لا يجدونك كذ ابا ان تدبّروا ما جئت به .
(٤) وهي قراءة الباقين .

المخاطبة بصفة محمودة أعلى من المخاطبة بالاسم

الصّلاة والسلام بأسمائهم . فقال : يا آدم(١) ـ يا نوح(٢) ـ يا ابراهيم(٣) ـ يا موسى(٤) ـ يا داود(٥) ـ يا عيسى(٦) ـ يا زكريا(٧) ـ يا يحيى(٨) .

ولم يُخاطب هو الا : يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ(٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ(١٠) يا أيُّها المُزَّمِّلُ(١١) يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ(١٢) .

---

(١) يا آدم انبئهم باسمائهم . البقرة : آية ٣٣ .
(٢) يانوح اهبط بسلام منا . هود : آية ٤٨ .
(٣) يا ابراهيم قد صدّقت الرؤيا . الصافات : آية ١٠٤-١٠٥ .
(٤) ... يا موسى ، ولقد مننا عليك مرة اخرى . طه : آية ٣٦-٣٧ .
(٥) يا داود إنّا جعلناك خليفة . ص : آية ٢٦ .
(٦) يا عيسى إني متوفيك . آل عمران : آية ٥٥ .
(٧) يا زكريا إنا نبشرك . مريم : آية ٧ .
(٨) يا يحيى خذ الكتاب بقوة . مريم : آية ١٢ .
(٩) المائدة : آية ٦٧ .
(١٠) الاحزاب : آية ٤٥ .
(١١) المزمل : آية ١ .
(١٢) المدثر : آية ١ .

الفصل الرابع
في
قَسَمه تعالى بعظيم قَدْرِه

قال تعالى : « لَعَمْرُكَ إنَّهُم لفِي سكرَتِهِم يَعمَهُون(١) » .

قسمه تعالى بعمره صلى الله عليه وسلم

اتفق أهل التفسير في هذا أنه قَسَم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأصله ، ضم العين في العُمُر. ولكنها فُتِحت لكثرة الاستعمال .

ومعناه(٢) : وبقائك يا محمد .

وقيل(٣) : وعيشك .

وقيل : وحياتك .

وهذه نهاية التعظيم وغاية البرّ والتشريف .

---

(١) الحجر : آية ٧٢ . يعمهون : يتحيرون ويترددون .
(٢) كما رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس .
(٣) كما رواه ابن ابي طلحة عن ابن عباس ايضا . وعزي إلى الاخفش .

قــال(١) ابنُ عبّاس رضي الله عنهمـا : ما خَلَقَ اللهُ تعـالى وما ذَرأ(٢) وما برأ(٣) نفساً أكرمَ عليـه من محمد صـلى الله عليـه وسلّم ، وما سمعت اللهَ تعالى أقسم بحياة أحد غيره .

وقال اللهُ تعـالى : « لاَ أُقسِمُ بِهـذَا البَلَدِ وَأَنتَ حِلٌّ بِهـذَا البَلَدِ(٤) » قيل : « لاَ أُقسِمُ(٥) به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه » حكاهُ مكي .

تشرف مكة به

وقيل : « لا » زائدة . أي أقسمُ به وأنت به يا محمد «حلال(٦)» أو «حِلٌّ» لك ما فعلت فيه . على التفسيرين .

والمراد بـ « البلد » عند هؤلاء مكة(٧) .

---

(١) فيما رواه البيهقي في دلائله ، وابو نعيم وابو يعلى .
(٢) ذرأ : خلق وكانه مختص بالذرية .
(٣) برا : خلق بمعنى صوّر .
(٤) سورة البلد : آية ١ ، ٢ .
(٥) المعنى انه سبحانه اقسم بالبلد الحرام وقيده بحلول رسوله عليه الصلاة والسلام اظهارا لمزيد فضله وهذا المعنى باعتبار مفهومه يفيد ما عبر به المصنف بقوله : « لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه » .
(٦) اي حلال لك لا لغيرك بان تقتل بها المشركين وذلك لما رواه الشيخان : « ان الله تعالى حرّم مكة يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلي ولا بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة .
(٧) وهذا هو المشهور عند الجمهور .

ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى: « وهذَا البَلَدِ الأَمِينِ(١) » .

أمنهـا الله بمقـامه فيهـا

قال : أمّنها الله تعالى بمقامه فيها وكونه بها، فإنَّ كونه(٢) أمان'' حيث كان .

ثم قال تعالى : « وَوَالِد وَمَا وَلَد(٣)» .

من قال(٤) : أرادَ آدمَ ، فهو عام .

ومن قال : هو إبراهيم . « وَمَا وَلَد » فهي ـ إنْ شاء الله تعالى ـ اشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القَسَم به صلى الله عليه وسلم في موضعين .

---

(١) سورة التين : اية ٣ .
(٢) اي وجوده فيها .
(٣) سورة البلد : اية ٣ .
(٤) اي كمجاهد .

الفصل الخامس

في

قسمه ـ تعالى جَدُّه[1] ـ له لتحقق مكانته عنده

والضحى سبب نزولها

قال تعالى : « وَالضُّحَى وَاللَّيلِ إذَا سَجَى(٢) » ـ السُّورة ـ اختُلِفَ في سبب نزول هذه السورة .

فقيل : كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به ، فتكلمت امرأة'' في ذلك بكلام(٣) .

وقيل(٤) : بل تكلّم به المشركون عند فترة الوحي . فنزلت السورة(٥) .

قال الفقيه القاضي : تضمنت هذه السورة

---

(١) بفتح الجيم وتشديد الدال اي عظمته .
(٢) سورة الضحى : آية ١ ، ٢ .
(٣) اخرجه الشيخان عن جندب ، واخرج الحاكم ان المرأة المذكورة هي امرأة ابي لهب. وقد تكلمت بما لا يليق ذكره لاهل الاسلام ويؤيده ما رواه البخاري : (اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاث فقالت له امرأة : إني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لعدم قيامك ، فانزل الله سورة الضحى) .
(٤) وعليه جمهور المفسرين على ما قيل .
(٥) ويدل عليه حديث مسلم والترمذي .

وجوه تعظيمه في هذه السورة

من كرامة الله تعالى له ، وتنويهه(١) به . وتعظيمه ايّاه ستة وجوه :

الأول : القَسَم له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى : « والضُحَى والليلِ إذَا سَجَى » أي ورب الضُحى . وهذا من أعظم درجات المبَرَّة .

بيان مكانته عنده

الثاني : بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى : « مَا وَدَّعَكَ رَبُكَ وَمَا قَلى(٢) » أي ما تركك وما أبغضك .

وقيل : ما أهملك بعد أن اصطفاك .

الثالث : قوله تعالى : « وَلَلآخِرَةُ خَير لَكَ مِنَ الأُولى(٣) » .

المآل خير

قال ابن إسحق : أي مآلك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا .

وقال سهل : أي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا.

الرابع قوله تعالى: «وَلَسَوفَ يُعطِيكَ

---

(١) تنويهه : رفعه ، ونوهت باسمه اي رفعت ذكره .
(٢) سورة الضحى : آية ٣ .
(٣) سورة الضحى : آية ٤ .

العطاء محدود بالرضى

. بُّكَ فتَرضى(١) » . وهــذه آية جامعــة وجوه الكرامة ، وأنواع السعادة ، وشتات(٢) لإنعام في الدارين والزيادة .

قال ابن إســحق : يرضيه بالفلــج(٣) في لدنيا والثواب في الآخرة .

وقيل(٤) : يعطيه الحوضَ والشفاعةَ .

رضاه باخراج امته من النار

وروي عن بعض آل النبي صــلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس في القرآن أرجى منهــا ، ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وســلم أن يدخل أحد من أُمته النار(٥) .

تعداد النعم

الخامس : ما عَدَّ تعالى عليه من نِعَمِهِ ، وقرره من آلائه(٦) ، قِبَلَه في بقية السورة من هدايته إلى ما هداه له ، أو هداية الناس به ، على اختلاف التفاسير ، ولا مال له ، فأغناه بما آتاه ، أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى، ويتيماً فَحَدِب(٧) عليه عمه وآواه إليه .

---

(١) سورة الضحى : آية ٥ .
(٢) الشتات : مصدر بمعنى التفرق اريد به متفرقاته ويعني به انه تجمع فيك كل نوع من انواع النعم التي انعم الله بها على غيرك ممن اختاره واصطفاه .
(٣) الفلج : بفتح الفاء وتسكين اللام اي الظفر والفوز .
(٤) وهو قول علي بن ابي طالب على ما ذكره الثعلبي في تفسيره .
(٥) ورواه عنه ايضا ابو نعيم في الحلية موقــوفا ، والديلمي في مسند الفــردوس مرفوعا .
(٦) الآلاء : النعم مفردها « الى » مقصور وتفتح الهمزة وتكسر .
(٧) حدب : رق وعطف .

الإيـــــواء

وقيل : آواه إليه(1) .

اليتـــــيم

وقيل : « يتيماً » لا مثال لك فآواك إليه

وقيل : المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا ، وآوى بك يتيما ، ذكّر بهذه المنن ، وأنه على المعلوم من التفاسير لم يهمله في حال صغره ، وعيلته ، ويتمه ، وقبل معرفته به ، ولا ودّعه ولا قلاه ، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه .

إظهـار النعمة

السادس : أمره باظهار نعمته عليه ، وشكر ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله تعالى : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ(2) » .

فان من شكر النعمة التحدث بها(3) .

وهذا خاص له . عام لأمته .

والنجم إذا هوى

وقال تعالى : « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(4) » الى قوله تعالى : « لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى(5) » .

---

(1) وفي نسخة آواه الله . اي ضمه إلى نفسه ولم يحوجه لحماية احد وإيوائه .
(2) سورة الضحى : آية 11 .
(3) وفي نسخة « التحديث » وفي اخرى « الحديث » .
(4) سورة النجم : آية 1 .
(5) سورة النجم : آية 18 .

فضائله صلى الله عليه وسلم في هذه السورة

تضمنت هذه الآيات من فضله ، وشرفه ، ـعد (١) ما يقف دونه العَدّ ، وأقسم جَلَّ ـسمه على هداية المصطفى، وتنزيهه عن الهوى، صدقه فيما تلا ، وأنه وحي يوحى ، أوصله ليه عن الله جبريل ، وهو الشديد القُوَى ، م أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء ، انتهائه الى سدرة المنتهى ، وتصديق بصره يما رأى ، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى .

وقد نبه على مثل هذا في أول سورة الاسراء، لَمّا كان ما كاشفه صلى الله عليه وسلم من لك الجَبَرُوت (٢) ، وشاهَدَه من عجائب الملكوت(٣) ، لا تحيط به العبارات ، ولا تستقل(٤) بحمل سماع أدناه العُقُول ، رمز منه تعالى بالإيماء ، والكناية الدالة على لتعظيم .

---

(١) العد : بكسر العين وتشديد الدال المهملتين اي الشيء الكثير الذي لا تنقطع مادته واصله في الماء يقال ماء عد اذا كانت له مادة غير منقطعة كماء العين والبئر .
(٢) جبروت : فعلوت من الجبر وهو القوة والعظمة .
(٣) الملكوت : فعلوت من الملك ، مبالغة ، والملك ظاهر السلطنة ، والملكوت باطنها .
(٤) تستقل : تستبدّ .

فقـال تعـالى : « فَأَوحى إِلَى عَبـدِهِ مَا أَوحى(1) » .

وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد

الاشارة تقوم مقام العبارة

والبـلاغة « بالوحي والإشـارة » وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز .

وقال : « لَقَد رَأَى مِن آيَاتِ رَبِّهِ الكُبرَى(2) » .

انحسرت الأفهـام عن تفصـيل ما أوحى وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى

قال القاضى أبو الفضـل : اشتملت هـذه الآيات على إعلام الله تعـالى بتزكيـة جملته صلى الله عليه وسلم ، وعصمتها من الآفات في هذا المسرى .

فزكّى فؤاده ، ولسانه ، وجوارحه .
ـ فقلبُه بقوله تعـــالى : « مَا كَذَبَ

(1) سورة النجم : اية ١٠ .
(2) سورة النجم : اية ١٨ .

الفُؤَادُ مَا رَأَى(١) » .

تزكيـة القلب

ـ ولســانه بقــوله : « وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى(٢) » .

تزكيـة اللسان

ـ وبصره بقوله : « مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى(٣) » .

تزكيـة البصر

وقال تعالى : « فَلاَ أُقسِمُ بالخُنَّسِ(٤) ، الجَوَارِ الكُنَّس(٥) » إلى قوله : « وَمَا هُوَ بِقَولِ شَيطَان رَجِيم(٦) » .

« لا أُقسِمُ » اي اقسم .

« إنَّهُ لَقَولُ رَسُول كَرِيم(٧) » أي كريم عند مرسله .

كـــريم

«ذِي قُوَّة» على تبليغ ما حمله من الوحي.

ذي قـــوة

« مكِين » أي متمكــن المنزلة عنـد ربه ، رفيع المحل عنده .

مكـــين

---

(١) سورة النجم : آية ١١ .
(٢) سورة النجم : آية ٣ .
(٣) سورة النجم : آية ١٧ .
(٤) سورة التكوير : آية ١٥ ، ١٦ . والخنس : من خنس اذا تاخر والمراد الكواكب لانها تخنس في المغيب او لانها تخفى نهارا .
(٥) الكنس : اي الكواكب التي تختفي تحت ضوء الشمس والكنس ماخوذة من كنس الوحش إذا دخل كناسه اي بيته .
(٦) سورة التكوير : آية ٢٥ .
(٧) سورة التكوير : آية ١٩ .

في السماء « مُطَاعٍ ثَمَّ(١) » أي في السماء .

امين « آمِين » على الوحي .

قال علي بن عيسى وغيره : الرسول هنا محمَّد صلى الله عليه وسلَّم فجميع الأوصاف بعد ـ على هذا ـ له .

وقال غيره : هو جبريل ، فترجع الأوصاف إليه .

رؤية ربه « وَلَقَدْ رَآهُ » يعني محمَّداً صلى الله عليه وسلم .

قيل(٢) : رأى ربَّه .

وقيل : رأى جبريل في صورته .

ظنين « وَمَا هُوَ عَلَى الغَيبِ بِظَنِينٍ(٣) » أي بمتهم .

ومن قرأها بالضَّاد(٤) فمعناه : ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحُكمِه وبعلمه ، وهذه لمحمَّد صلى الله عليه وسلَّم باتِّفاق ..

---

(١) سورة التكوير : آية ٢١ . ثَم بمعنى هناك .
(٢) نقل عن ابن مسعود وغيره .
(٣) سورة التكوير : آية ٢٤ . وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي .
(٤) وهم نافع وحمزة وابن عامر من الضنّ والضنة وهي البخل .

سورة « ن » وقال تعالى : « ن وَالقَلَمِ
وَمَا يَسطُرُونَ(١) » الآيات .

أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم
سمه ، من تنزيه المصطفى مما غمصته(٢)
لكفرة به ، وتكذيبهم له ، وآنسه وبسط أمله
قوله محسناً خطابه : « مَا أنتَ بِنِعمَةِ
رَبِّكَ بِمَجنُونٍ(٣) » .

نهاية المبرة في المخاطبة
وهذه نهاية المبرة في المخاطبة ، وأعلى
درجات الآداب في المحاورة .

نعمة غير ممنونة
ثم أعلمه بما له عنده من نعيم دائم ،
وثواب غير منقطع ، لا يأخذه عدّ ، ولا يمن
به عليه .

فقال : « وإنَّ لَكَ لأَجراً غَيرَ
مَمنُونٍ(٤) » .

الثنى عليه بما منحه
ثم أَثنى عليه بما منحه من هباته ، وهداه

(١) سورة القلم : آية ١ .
(٢) غمصته : احتقرته وعابته .
(٣) سورة القلم : آية ٢ .
(٤) سورة القلم : آية ٣ .

إليــه وأكــد ذلك تتميمــاً للتمجيــد بحــر التأكيد .

الخلق العظيم

فقـــال تعـــالى : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُ عَظِيم(١) » .

قيل : القرآن(٢) .

قال الواسطي : أثنى عليه بحسن قبوله لمــا أسداه اليــه من نعمه وفضــله بذلك ع غيره ، لأنه جبله على ذلك الخلق .

يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى به عليه

فسبحان اللطيف المحسن ، الجواد الحميد الذي يسَّر للخـير وهدى اليــه ، ثم أثنى ع فاعله ، وجازاه عليه .

سُبحانَهُ ما أَغمَــر(٣) نوالهُ ، وأوسع إفضاله .

ثم سلَّاه عن قولهم بعد هــذا بما وعده ب من عقابهم وتوعدهم بقوله : « فَسَتُبصِر

(١) سورة القلم : آية ٤ .
(٢) وهو المروي عن عائشة انها لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلـ قالت : كان خلقه القرآن يرضى برضاه ، ويسخط بسخطه .
(٣) ما اغمر : ما اعم .

. يَبصِرُونَ (١) » الآيات الثلاث .

ثُم عَطَفَ بعدَ مدحِهِ على ذم عدوه(٢) ، وذكر سوء خُلُقه ، وعدَّ معايبه ، متوليـاً ذلكَ بِفَضله ، ومنتصراً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه .

بقوله تعالى: «فَلاَ تُطِعِ المُكَذِّبِينَ (٣)» إلى قوله : « أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٤) » .

ـ ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه ، وخاتمة بواره(٥) بقوله تعالى : «سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرطُومِ (٦) » .

نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه

فكانت نصرة الله تعالى له أتم من نصرته لنفسه ، ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده ، وأثبت في ديوان مجده .

---

(١) سورة القلم : آية ٥ .
(٢) قيل هو الاخنس بن شريق . والاظهر انه الوليد بن المغيرة ونقل الثعلبي في تفسيره انه ابو جهل ، ونسب هذا إلى ابن عباس رضي الله عنهما : وقيل هو عتبة بن ربيعة .
(٣) سورة القلم : آية ٨ .
(٤) سورة القلم : آية ١٥ .
(٥) بواره : دماره .
(٦) سورة القلم : آية ١٦ .

الفصـــل الســـادس
في
ما ورد من قوله تعالى في جهته
صلى الله عليه وسلم
مورد الشفقة والإكرام

قال تعـالى : « طه مَـا أَنزَلنَـا عَـلَـيك القُـرآنَ لِتَـشقى(١) » .

طه ومعانيهـا

قيل : « طه » اسـم من أسـمائه صلى ا عليه وسلم(٢) .

وقيل : هو اسم لله(٣) .

وقيل : معناه يا رجل(٤) .

وقيل : يا إنسان .

وقيل : هي حروف مقطعة لمعان .

قال الواسطي : أراد يا طاهر يا هادي .

---

(١) سورة طه : آية ١ ، ٢ .
(٢) الحديث تقدم .
(٣) قاله : ابن عباس رضي الله عنهما .
(٤) في لغة عك .

وهو قوله تعالى : « مَا أَنزَلنَا عَلَيكَ سبب النزول
لقُرآنَ لِتَشقَى » .

نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه
.سلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل.

ـ وإنْ جعلنا « طه » من أسمائه صلى الله
ليه وسلّم كما قيل أو جعلت قَسَماً لحق(١)
لفصلُ بما قبله ، ومثل هذا من نمط(٢)
لشفقة والمبرّة .

قوله تعالى: «فَلَعلّكَ بَاخِعٌ" نَفسَكَ عَلَى تسلية وشفقة
ثَارِهِم إنْ لَم يُؤمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ
سَفاً(٣) » .

أَي قاتل نفسك لذلك غضباً ، أَو غيظاً ،
و جزعاً .

ومثله قوله تعالى : « لَعَلّكَ بَاخِعٌ"
نَفسَكَ أَلاّ يَكُونُوا مُؤمِنِينَ(٤) .

---

(١) اي اتصل هذا الفصلُ بالفصل الذي قبله لإنبانه بما اقسم به تعالى تحقيقا
ثانته عنده .
(٢) النمط : النوع واصله الجماعة من الناس امرهم واحد .
(٣) سورة الكهف : آية ٦ .
(٤) سورة الشعراء : آية ٣ . :

ثم قال تعالى : « إنْ نَشأْ نُنَزّل عَلَيهِ
مِن السَّمَاءِ آيَة فَظَلّت أعنَاقُهُ
لَهَا خَاضِعِين (١) » .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « فَاصدَ
بِمَا تُؤمَر وَأعرِض عَنِ المُشرِكين(٢)
إلى قوله تعالى : « وَلَقَد نَعلَمُ أنَّك
يَضِيقُ صَدرُكَ بِمَا يَقُولُون (٣) » إ
آخر السورة .

وقوله : « وَلَقَد استُهزِئ بِرُسُ
مِن قَبلِك (٤) » الآية .

قال مكي : سلاّه تعالى بما ذكر ، وهوَّ
عليه ما يلقاه من المشركين ، وأعلمه أن م
تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله
ومثلُ هذه التسلية ، قوله تعالى : « وَإ
يُكَذّبُوكَ فَقَد كُذّبَت رُسُل مِ
قَبلِك (٥) » ومن هذا قوله تعالى : « كَذلِك
مَا أتَى الّذِينَ مِن قَبلِهِم مِن رَسُو

سنّة الرسل

(١) سورة الشعراء : آية ٤ .
(٢) سورة الحجر : آية ٩٤ .
(٣) سورة الحجر : آية ٩٧ .
(٤) سورة الرعد : آية ٣٢ .
(٥) سورة فاطر : آية ٤ .

لاَّ قَالُوا سَاحِر" أو مَجنُون(١) » .

ـ عزَّاه الله تعالى بما أخبر به عن الأمم
لسالفة ومقالتها لأنبيائهم قبله ـ ومحنتهم
هم .

ـ وسلَّاه بذلك عن محنته بمثله من كفار
كة ، وأنه ليس أَول من لقيَ ذلك .

ـ ثم طيَّب نفسه ، وأَبان عذره ، بقوله
مالى : « فَتَوَلَّ عَنهُم(٢) » .

أي أعرض عنهم « فَمَا أَنتَ
بِمَلُوم(٣) » . أي في أداء ما بلغت وإبلاغ
ا حُمِّلت .

ومثله قوله تعالى : « وَاصبِر لِحُكمِ
رَبِّك فَإِنَّكَ بِأَعيُنِنَا(٤) » .

أي : اصبر على أذاهم ، فإنَّك بحيث نراك
نحفظك ، سلَّاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة من
هذا المعنى ...

---

(١) سورة الذاريات : آية ٥٢ .
(٢) سورة الذاريات : آية ٥٤ .
(٣) سورة الذاريات : آية ٥٤ .
(٤) سورة الطور : آية ٤٨ .

الفصل السابع

في

ما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز

من عظيم قدره وشريف منزلته

على الأنبياء وحظوة رتبته عليهم

قال الله تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ الله
مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن
كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ » إلى قوله : « مِنَ
الشَّاهِدِينَ(١) » .

اختصاصه بالفضل من دون الأنبياء

قال أبو الحسن القابسي : استَخَصَّ(٢)
الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بفضل
يُؤته غيره ، أَبانه(٣) به ، وهو ما ذكره
هذه الآية . قال المفسرون : أخذ الله الميثا
بالوحي ، فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمد
وَنعتَه ، وأَخذ عليه ميثاقه إنْ أدرك
ليؤمننَّ به .

---

(١) « ثمَّ جاءَكم رَسولٌ مُصدِّقٌ لما معكم لتؤمننَّ به ولتنصرنَّه قالَ أأقرَرتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم منَ الشاهدينَ » من سورة آل عمران : آية ٨١

(٢) استخص وخص واختص بمعنى واحد : فالسين للتاكيد لا للطلب .

(٣) اي اظهر ذلك الفضل له او فضله وميزه به عن غيره .

وقيل: أَنْ يُبَيِّنَهُ لقومه ، ويأخذ ميثاقهم
ن يُبَيِّنُوه لمن بعدهم .

وقوله : « ثُمَّ جَاءَكُم » ، الخطاب لأهل
لكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم .

اخذ العهد من الانبياء

قال(١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه :
م يبعث الله نبياً من آدمَ فَمَن بعده ، الا أخذ
عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم ، لئن
بُعث وهو حي ليؤمنن به ، ولينصرنه ، ويأخذ
لعهد بذلك على قومه .

وعن السُّدِّي وقَتَادَةَ : نحوُه في آي
تضمنت فضله من غير وجه واحد .

قال تعالى : « وإذ أخذنا من النَّبِيِّينَ
يثاقهم ومنك ومن نوح(٢) » الآية .

وقال تعالى : « إنَّا أوحينا إليكَ
كما أوحينا الى نوح(٣) » إلى قوله :
« شهيداً » .

---

(١) كما رواه ابن جرير وابن كثير باسناد صحيح والبغوي بعبارات مختلفة محتملة للنقل بالمعنى او تعدد القول المروي عن علي رضي الله عنه .
(٢) سورة الاحزاب : آية ٧ .
(٣) سورة النساء : آية ١٦٣ .

كلام عمر في رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم

رُوِيَ عن عمر بن الخطاب أَنه قال في كلا
بكى(١) به النبيّ صلى الله عليه وسلّم فقال :
« بأبي أَنت وأمّي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عند الله ، أَن بعثك آخر الأنبياء ،
وذكرك في أَولهم ، فقال : « وإِذ أَخَذنَ

أوليته على الانبياء

مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُم و مِنكَ وَمِن
نُوح(٢) » الآية .

ـ بأَبي أَنت وأُمّي يا رسول الله ، لقد بل
من فضيلتك عنده ، أن أهل النار يودون أن
يكونوا أَطاعوك ، وهم بين أَطباقها يعذبون ،

اماني أهل النار

يقولون : « يَالَيتَنَا أَطَعنَا اللهَ وَ أَطَعنَ
الرَّسُولاَ (٣) » .

وقال تعالى : « تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَ
بَعضَهُم عَلَى بَعض » الآية .

قال أَهل التفسير : أَراد بقوله : « وَرَفَعَ بَعضَهُ

(١) اي : رثى .
(٢) سورة الاحزاب آية : ٧ .
(٣) سورة الاحزاب : آية ٦٦ .

دَرَجَاتٍ(١) » محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه بُعث الى الأحمر(٢) والأسود(٣) ، وأُحلت له الغنائم ، وظهرت على يديه المعجزات ، وليس أحد من الأنبياء أُعطى فضيلة ، أو كرامة إلا وقد أُعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها .

سبب تفضيله

قال بعضهم : ومن فضله أنَّ الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ(٤) » و « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ(٥) » .

مخاطبته بالنبوة والرسالة

وحكى السَّمرقنديُّ عن الكلبيِّ في قوله تعالى: «وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبرَاهِيمَ(٦) » ، أَنَّ الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي : إنَّ مِن شِيعة محمد لإبرَاهيمَ ، أي على دينه ومنهاجه .

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٣ .
(٢) الاحمر : العجم لغلبة البياض والحمرة عليهم .
(٣) الاسود : لغلبة الادمة والسمرة عليهم . وقيل : الاحمر والاسود الانس والجن .
(٤) سورة التوبة : آية ٧٣ .
(٥) سورة المائدة : آية ٦٧ .
(٦) سورة الصافات : آية ٨٣ .

الفصل الثامن

في

إعلام الله تعالى خَلقَه بصلاته عليه وولايته له ورفعِه العذاب بسببه

قال اللهِ تعالى : « وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ(١) » . أي ما كنت بمكة ، فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل :

جـواره امان

« وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » . وهذا مثل قوله : « لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا(٢) .. » الآية .

استغفار بعض الناس سبب في دفع العذاب عن الكل

(١) سورة الأنفال : آية ٣٣ .
(٢) « الذين كفروا منهم عذابا اليما » من سورة الفتح : آية ٢٥ .

وقـــوله تعـــالى : « وَلَـولاَ رِجَـال" مـُؤمـِنـُونَ (١) ...» الآية . فلما هاجر المؤمنون نـزلت : « وَمَـالَهُـم أَلاَّ يُـعَـذِّبَـهُم اللَّهُ (٢) » .

---

(١) وصدر الآية « هـم الـذينَ كفَرُوا وصَدُّوكُمْ عَنِ المسجِدِ الحَرَام والهَدْيَ معكوفا ان يَبلُغَ مَحِلَه ولولا رجال" مُؤمِنُونَ وَنِسَاء" مُؤمِنَـــات" لم تـعلمـــوهـم أن تطئـوهُـم فتصيبكم منهـــم معـرّة" بِغَيرِ عـلم ليُدخل اللهُ في رحمَته من يشاءُ لَو تَزَيَّلُوا لعـذّبنا الذينَ كفـرُوا منهم عذابا ألـيما .. » من سورة الفتح : آية ٢٥ .

معنى الآية : يقول تعالى مخبراً عن الكفار من مشركي العرب ، من قريش ومن مالأهم على نصرتهم عَلى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بانهم هم الـكفار وهـم الذين صـدوا المؤمنين عن المسجد الحرام وصدوا الهدي ان يصل الى محله وهذا من بغيهم وعنادهم ثم يبين الله تعالى رحمته بالمؤمنين المخفـين ايمانهم فيقـول عنهـم : (ولَـولا رِجـال" مؤمنون ونِساء" مؤمِنات) اي بين اظهر الـكافرين ممن يكتم ايمانه ويخفيه منهم ، خيفـة على انفسـهم من قومهم لكـنّـا سلّطناكم عليهم فقتلتموهم وابدتم خضراءهم ، ولـكن بين افنائهم من المؤمنين والمؤمنات اقوام لا تعـرفونهم حالة القتـل ، ولهذا قال تعالى : (لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم مَعَرّة" بِغَيرِ علم) .

معرة : اثم .. ثم قال تعالى (لو تزيلوا) اي لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين اظهرهم لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلا ذريعا .. وهذا يبين رحمة الله بالصحابة ورفعه العذاب بسببهم وما لاصحابه صلى الله عليه وسلم انما هو ببركته ايضا ولاجل عين الف عين تكرمُ .

(٢) « وَمَالَهُم الاّ يُعذّبَهم اللهُ وَهُم يصدون عن المسجد الحَرام وما كانوا أولياءَهُ إن اولياؤه الاّ المتقون ولكنّ أكثرَهُم لاَ يَعلمون » . من سورة الانفال : آية ٣٤ .

وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ، ودرأته (١) العذاب عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم ، فلما خلت مكة منهم عذبهم الله بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم ، وحكم فيهم سيوفهم ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم . وفي الآية أيضاً تأويل آخر .

فضل الاستغفار

عن أبي بردة ابن أبي موسى عن أبيه قال (٢) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل الله عليَّ أمانين لأمتي : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار » .

---

(١) بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمز وتاء اي ومن ابين ما يظهرها دفعه سبحانه العذاب .

(٢) انفرد الترمذي باخراجه من بين الستة ذكره في التفسير ، وقال غريب واسماعيل ابن ابراهيم يضعف في الحديث . اهـ . ويقويه انه رواه ابن ابي حاتم . عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا ، وابو الشيخ نحوه عن ابي هريرة ، رضي الله عنه موقوفا ايضا.

ونحوٌ منه قوله تعالى : «وَمَا أَرسَلنَاكَ إلاّ رَحمَةَ لِلعَالَمِينَ (١)» .

قال صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَمَانٌ لأصحابي(٢) » .

قيل : من البدع .

وقيل : من الاختلاف والفتن .

الرسول باق ما دامت سنته باقية

قال بعضهم : الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش . وما دامت سُنَّته باقية فهو باق ، فاذا أميتت سُنَّته فانتظروا البلاءَ والفتن . وقال الله تعالى : « إنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ (٣) » . الآية .

صلاة الله

أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ، ثم بصلاة ملائكته ، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه ، وحكى أبو بكر بن فُورَك : أنّ بعض العلماء تأول قوله صلى الله عليه وسلّم : « وَجُعِلت قُرَّةُ عيني في الصلاة » .

---

(١) من سورة الانبياء : آية ١٠٧ . ١٠٧

(٢) وفي لفظ : انا امنة لاصحابي ، وهو حديث صحيح رواه مسلم عن سعيد بن بردة عن ابيه عن ابي موسى رضي الله عنه .

(٣) « ... يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ، صَلّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيماً » سورة الاحزاب : آية ٥٦ .

على هذا(١) ، أي : في صلاة الله تعالى عليَّ ، وملائكته ، وأمره الأمة ، بذلك إلى يوم القيامة . « والصلاة » من الملائكة ومنا له دعاء ، ومن الله عز وجل رحمة .

معنى الصلاة

وقيل : «يُصَلُّون» يباركون ، وقد فرّق النبي صلى الله عليه وسلم حين علّم الصلاة عليه بَينَ لفظ « الصلاة » و « البركة » وسنذكر حكم الصلاة عليه .

ولاية الله له

وقال تعالى : « وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَولِيهُ(٢) » .

أي وليُّه .

« وصالح المؤمنين » .

قيل : الأنبياء .

وقيل : الملائكة .

وقيل : المؤمنون ... على ظاهره .

---

(١) أي على هذا المعنى يكون المراد : (في صلاة الله تعالى عليَّ) .
(٢) « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا ... » سورة التحريم : (آية ٤) .

الفصل التاسع
في
ما تضمنته سورة الفتح من كراماته
صلى الله عليه وسلم

سورة الفتح

قال الله تعالى : « إِنَّا فَتَحنا لَكَ فَتحاً مُبِيناً(١) » الى قوله تعالى : « يَدُ اللهِ فَوقَ أَيدِيهِم » .

ظهوره وغلبته

غفران ذنبه

تضمنت هذه الآيات من فضله ، والثناء عليه ، وكريم منزلته عند الله تعالى ، ونعمته لديه ، ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البيِّن بظهوره وغلبته على عدوه ، وعُلُو كلمته وشريعته ، وأنه مغفور له ، غير مؤاخذ بما كان ، وما يكون ، قال بعضهم : أراد غفران ما وقع ، وما لم يقع .. أي أنك مغفور لك ...

---

(١) سورة الفتح : آية رقم ١ ــ ١٠ .

المنة سبب المغفرة

وقال مكي : جعل الله المنة سبباً للمغفرة ، وكلٌّ مِن عِندِه(1) لا إلهَ غَيرُه ، منّة بعد منّة ، وفضلا بعد فضل .

اتمام النعمة

ثم قال تعالى : « وَيُتِمُّ نِعمَتَهُ عَلَيكَ » .

قيل : بخضوع من تكَبَّر عليك لك .

وقيل : بفتح مكة والطائف .

وقيل : يرفع ذكرك في الدنيا ، وينصرك ، ويغفر لك ، فأعلَمَهُ بتمام نعمته عليه ، بخضوع متكبري عدوه له ، وفتح أهم البلاد عليه ، وأحبِّها له ، ورفع ذِكره ، وهدايته الصراط المستقيم ، المبلِّغ الى الجنة والسعادة ، ونصره النصر العزيز ، ومنّته على أُمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة ، التي جعلها في قلوبهم ، وبشارتهم بما لهم عند ربهم بَعدُ ، وفوزهم العظيم ، والعفو عنهم ، والستر لذنوبهم ، وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ، ولعنهم وبعدهم من رحمته ، وسوء منقلبهم .

---

(1) أي لقوله سبحانه وتعالى : (قل كلٌّ مِن عِندِ الله) .

ثم قال : « إنّا أَرسَلنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً » الآية . فعدّ محاسنه وخصائصه ، من شهادته على أُمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم . شهادته على على امته

وقيل : شَاهِداً لهم بالتوحيد .

« ومُبَشِّراً » لأُمته بالثواب .

وقيل : بالمغفرة .

« وَنَذِيراً » مُنذِراً عدوه بالعذاب .

وقيل : محذراً من الضلالات ، ليؤمن بالله ، ثم به ، من سبقت له من الله الحسنى .

« ويُعَزِّروه(١) » أي يُجِلّونه . يعزروه

وقيل : ينصرونه .

وقيل : يبالغون في تعظيمه .

« ويُوَقِّرُوه » أَي يُعظّمونه .

---

(١) من قوله تعالى : « لِتُؤمِنوا بالله ورَسولِه وتُعَزِّرُوهُ وتوقّروه وتسبّحُوهُ بكرة وأصيلا » . سورة الفتح : آية رقم ٩ .

والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : « وتُسَبِّحوه » فهذا راجع الى الله تعالى .

قال ابن عطاء : جُمِع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نِعَم مختلفة :

ـ من الفتح المبين : وهو من أعلام(١) الإجابة .

ـ والمغفرة : وهي من أعلام المحبة .

ـ وتمام النعمة : وهي من أعلام الاختصاص .

ـ والهداية : وهي من أعلام الولاية .

فالمغفرة تبرئة من العيوب .

وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة .

والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة .

(١) اعلام : علامات .

وقال جعفر بن محمد : من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه ، وأقسم بحياته ، ونسخ به شرائع غيره ، وعرج به إلى المحل الأعلى ، وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى، وبعثه الى الأحمر والأسود ، وأحلّ له ولأمته الغنائم ، وجعله شفيعاً مُشفَّعاً وسيد ولد آدم ، وقرنَ ذِكره بذكره ورضاه برضاه ، وجعله أحد ركني التوحيد . تمام النعمة

ثم قال تعالى : « إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ (١) ». يعني بيعة الرِّضوان(٢) .

أي إنَّما يبايعون الله ببيعتهم إيَّاك .

« يَدُ اللهِ فَوقَ أيديهم » يريد عند البيعة . يد الله

(١) « ... يَدُ الله فوقَ أيديهم فمن نكثَ فانَّما ينكثُ على نفسِهِ ومن أوفى بما عاهَدَ عليهُ اللهَ فسيؤتيه أجراً عظيماً » سورة الفتح : آية ١٠ .

(٢) بيعة الرضوان كانت بالحديبية ، وسميت بها لقوله تعالى : «لقد رَضِيَ اللهُ عن المؤمنينَ اذ يبايعونكَ تحت الشجرةِ» وهي شجرة سمرة وعضاه ، وقعت تحتها البيعة وبقيت الى زمن عمر رضي الله تعالى عنه ، وكانوا الفاً وأربعمائة أو خمسمائة ، والمبايعة كانت على ان لا يفروا ، أو على الموت ، ولا مخالفة بينهما ، ولم يتخلف منهم عن البيعة غير الجد بن قيس وعثمان رضي الله تعالى عنه لان النبي صلى الله عليه وسلم كان بعثه لقريش ليخبرهم انهم لم يقدموا لحرب ، وانما جاؤوا زواراً للبيت ، فبايع النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال : « هذه يد عثمان » وكان وقع الارجاف بقتله .

الفصل العاشر

في

ما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصّه به من ذلك سوى ما تقدم

ـ من ذلك ما قصّهُ تعالى ، من قصّة الإسراء ، في سورة « سُبحَانَ (١) » و « النَّجمِ »(٢) ، وما انطوت عليه القصة ، من عظيم منزلته ، وقربه ، ومشاهدته ما شاهده من العجائب . .

مشاهدة العجائب

ـ ومن ذلك ، عصمته من الناس ، بقوله تعالى :

عصمته من الناس

« وَاللهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (٣) » .

---

(١) « سُبحَانَ الذي أسرى بعبده ليلا من المسجدِ الحَرامَ الى المسجدِ الأقصى الذي باركنا حولهُ لنُريَه من آياتنا انه هوَ السَّميعُ البَصيرُ » . سورة الاسراء : آية ١ .

(٢) والمراد هنا قوله تعالى : « ولَقَد رآهُ نَزلَةً أخرى ، عندَ سدرة المُنتَهى ، عندَها جنَّةُ المأوى ، اذ يغشى السِّدرَةَ ما يَغشى ، ما زَاغَ البَصرُ وما طغى لقد رأى من آياتِ ربّه الكُبرى » . سورة النجم : آية ١٣ ـ ١٨ .

(٣) « يا أيُّها الرَّسولُ بلّغ ما أُنزِلَ اليكَ من ربّك وان لم تفعل فما بلّغتَ رسالتَه واللهُ يعصمكَ من النّاسِ ان اللهَ لا يَهدي القَومَ الكافرين » سورة المائدة : آية ٦٧ .

وقوله تعالى: «وَإِذ يَمكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا(١)» الآية .

وقوله : «إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَد نَصَرَهُ الله(٢) » .

ـ وما دفع الله به عنه في هذه القصة ، من أذاهم بعد تحريهم لهُلكِه ، وخلوصهم نجِياً(٣) في أمره ، والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم ، وذهولهم عن طلبه في الغار ، وما ظهر في ذلك من الآيات ، ونزول السكينة عليه ، وقصة « سراقة بن مالك » ، حسبما ذكره أهل الحديث والسير(٤) في قصة الغار ، وحديث الهجرة(٥) .

---

(١) « ... لِيُثبِتوكَ أو يَقتلوكَ أو يُخرِجوك ويمكرون ويمكرُ اللهُ والله خير الماكرين » سورة الأنفال : آية ٣٠ .

(٢) « ... إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقولُ لصاحبه لا تحزن إنَّ اللهَ معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمةُ اللهِ هي العليا والله عزيز حكيم » سورة التوبة : آية ٤٠ .

(٣) مصدر او وصف اريد به معنى الجمع ومعناه : متناجين متشاورين .

(٤) السير : جمع سيرة بمعنى الطريقة الخصلة ، لم خص بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسفاره المفردة بالتنوين .

(٥) الهجرة : الانتقال من دار لأخرى ، وهي هنا للعهد ، أي هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة .

ومن قوله تعالى : « إِنَّا أَعطَيناكَ الكَوثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَر إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ(١) » .

أعلمه الله تعالى بما أعطاه .

الكوثر

و « الكوثر » حوضه .

وقيل : نهر في الجنة .

وقيل : الخير الكثير .

وقيل : الشفاعة .

وقيل : المعجزات الكثيرة .

وقيل : النبوة .

وقيل : المعرفة .

ثم أجاب عنه عدوَّه ، ورد عليه قوله .

الشاني، هو الابتر

فقال تعالى : « إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ(٢) » .

أي عدوَّك ، ومُبغِضَك .

---

(١) سورة الكوثر : آية ١ ـ ٣ .
(٢) سورة الكوثر : آية ٣ .

و « الأ بتَر » : الحقير الذليل أو المفرد لوحيد . أو الذي لا خير فيه .

وقال تعالى : « وَلَقَد آتَينَاكَ سَبعاً مِنَ المَثَانِي والقُرآنَ العَظِيم(١) » .

السبع المثاني

قيل(٢) : « السبع المثاني » السُور الطوال الأوَل .

« والقرآن العظيم » أُم القرآن .

وقيل(٣) : « السبع المثاني » أم القرآن .

« والقرآن العظيم » سائره .

وقال تعالى : « وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الذِّكرَ(٤) » الآية .

عموم الرسالة

وقال تعالى : « وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً(٥) » .

---

(١) سورة الحجر : آية ٨٧ .
(٢) وهو المحكي عن ابن عمر وابن مسعود والمنقول عن ابن عباس رضي الله عنهم .
(٣) وهو المحكي عن عمر وعلي والحسن البصري رضي الله عنهم .
(٤) « لِتُبَيِّنَ للناس ما نُزِّل اليهم ولعلهم يتفكرون » سورة النحل : آية ٤٤ .
(٥) « ... ولكن اكثرَ الناسِ لا يَعلَمُون » سورة سبا : آية ٢٨ .

وقال تعالى : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاس انِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُم جَمِيعاً(١) » . الآية .

فخصهم بقومهم ، وبعث محمداً صلى الله عليه وسلم الى الخَلق .

قال القاضي : فهذه من خصائصه .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « بُعِثتُ إِلَى الأَحمَرِ والأَسوَدِ(٢) » .

وقال تعالى : « وَمَا أَرسَلنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم(٣) » .

بعثه الى الخلق

وقال تعالى : «النَّبِيُّ أَولَى بِالمُؤمِنِينَ مِن أَنفُسِهِم ، وَأَزوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم(٤) » .

---

(١) « ... الذي لهُ مُلكُ السمَوات والأرضِ لا إلـه الا هُوَ يُحيي ويُميتُ فآمنوا باللهِ ورسولِهِ النبيِّ الأميِّ الذي يؤمِنُ باللهِ وكلِماتِهِ واتبعوه لعلكم تهتَدُونَ » الأعراف : آية ١٥٨ .

(٢) اي العرب والعجم .

(٣) « ... فيُضِلُ الله من يَشاءُ ويَهدِي من يَشاءُ وهُوَ العَزيزُ الحكيمُ » سورة ابراهيم : آية ٤ .

(٤) « ... وأُولُو الأرحَام بَعضُهم أولى بِبَعض في كتاب الله مِنَ المؤمنينَ والمهاجِرينَ الا ان تفعَلُوا الى أوليائِكم معروفاً كانَ ذلكَ في الكتابِ مسطوراً » الاحزاب : آية ٦ .

قال أهل التفسير : « أولى بِالمُؤمِنينَ
ـِن أنفُسِهم » . أي : ما أنفَذَه فيهم من
أمر ، فهو ماض عليهم، كما يمضي حكم السيد
على عبده .

اتباع امره اولى من اتباع راي النفس

وقيل : اتباع أمره أولى من اتباع رأي
النفس .

« وَأَزوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم » أي : هُن
في الحرمة كالأمهات ، حرَّم نكاحهن عليهم بعده
تكرمة له وخصوصية ، ولأنهن له أزواج في
الجنة ..

وقال الله تعالى : «وأَنزَلَ اللهُ عَلَيكَ
الكِتَابَ والحِكمَةَ(١) » الآية .

فضل الله العظيم

«وَكَانَ فَضلُ اللهِ عَلَيكَ عَظِيماً(٢)» .
قيل : « فضله العظيم » بالنبوة .
وقيل : بما سبق له في الأزل .
وأشار الواسطي إلى أنها اشارة الى احتمال
الرؤية التي لم يحتملها موسى عليه السلام .

---

(١) « وعَلَّمَكَ مالم تكن تعلمُ وكانَ فَضلُ الله عَليكَ عظيما » سورة النساء : آية ١١٣ .
(٢) سورة النساء : آية ١١٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي المسلم :

الآن بعدَ أن انتهيتَ من قراءةِ هذه الشمائل الكريمة . ارجو ا
ترفعَ كفيك لتردد مع أولادك وأهلِكَ وأحبابك هذه الأدعية المأثور
عسى اللهُ أن يقبلنا وإياك .

سُبحان الذي تعطّف بالعزّ وقال به ، سبحان الذي لبِس المجد وتكر
به ، سُبحان الذي لا ينبغي التسبيحُ إلاّ له ، سُبحان ذي الفضل والنّعم
سُبحان ذي المجدِ والكرمِ ، سبحان ذي الجلال والإكرام .

اللهمّ انك لستَ باله استحدثناهُ ، ولا بربٌ ابتدعناه ، ولا كان لن
قبلك من إله نلجأُ اليهِ ونذرُكَ ، ولا أعانكَ على خلقِنا أحدٌ فنشرك
فيك ، تباركت وتعاليت .

اللّهم اجعل لي نُوراً في قلبي ، ونُوراً في قبري ، ونوراً بين يديّ
ونوراً من خلفي ، ونُوراً عن يميني ، ونُوراً عن شِمالي ، ونوراً من
فوقي ، ونُوراً من تحتي ، ونُوراً في سمعي ، ونوراً في بصري ، ونوراً في
شَعري ، ونُوراً في بَشري ، ونُوراً في لحمي ، ونوراً في دمي ، ونوراً في
عظامي ، اللّهم أعظم لي نُوراً ، واعطني نُوراً ، واجعل لي نوراً .

اللّهم يا ذا الحبل الشّديد ، والأمر الرشيد أسألك الأمن يومَ
الوَعيد ، والجنّة يوم الخُلود ، مع المُقربين الشُهود ، الرُكّع السُجود ،
المُوفينَ بالعُهود ، إنّك رحيم ودود ، وانّك تفعل ما تريد . اللهم اجعلنا
هادين مُهتدين غير ضالّين ولا مُضلّين سلماً لأوليائك ، وعدوّاً لأعدائك
نحب بحبّك من أحبّك ، ونُعادي بعداوتك من خالفك . اللّهم هذا
الدعاءُ وعليكَ الاجابة ، وهذا الجُهد وعليك التّكلان .

اللهم إني أُنزِل بك حاجتي ، وإن قصر رأيي (أي عجز عن الادراك)، ضعُفَ عملي افتقرت إلى رحمتك ، فاسألك يا قاضي الأمور ، ويا شافيَ صدور كما تجيرُ بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ، ومن دعوة ثبور ، ومن فتنة القبور . اللهم ما قصرُ عنهُ رأيي ، ولم تبلغهُ يتي ، ولم تبلغهُ مسئلتي من خير وعدتَهُ أحداً من خلقك أو خير نت معطيه أحداً من عبادِك ، فانني أرغبُ اليك فيه وأسالكَ برحمتك بارب العالمين .

اللهم اجعلني شكوراً ، واجعلني صبوراً ، واجعلني في عيني صغيراً ، في أعين النّاس كبيراً .

اللهم لا تكِلني الى نفسي طرفةَ عين ولا تنزع مني صالحَ ا أعطيتني .

يا أرحم الراحمين

يطلب هذا الكتاب مجانا من :

شركة النهضة الطبية

جـدة ـ ص.ب ٤٦٨٣

تليفون : ٦٨٩١٢٠٨ـ٦٨٧٧٨٤٨

الفهرس

طبع بموافقة وزارة الاعلام السعودية
رقم ٣١٢ /م/ج تاريخ ١٤٠٣/٣/١٢هـ

مطابع سحر

بيــان الخطــأ والصــواب
في الجزء الأول من
كتاب تهذيب الشفا

أخي القارىء :

معذرة لوقوع بعض الأخطاء المطبعية في الجزء الأول من كتاب « تهذيب الشفا » واليكها راجين منك تصحيحها :

ص	س	خطـأ	صواب
١٠	١٦	ماضى	ماضٍ
١١	٤	يتنعمّون	يتنعَّمون
١٣	١٥	مَحلَه	محلُّه
١٤	١٦	للشـ	للشاعر
٤٨	٤	بهان	بهــا
٧١	١٩	آية ١٠٧ ١٠٧٠	آية ١٠٧
٧٩	٢٠	الخصلة	والخصلة